

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية العلوم الإسلامية



مطبوعة في مقياس مدخل إلى الحضارة الإسلامية

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثانية ليسانس

تخصص: حضارة إسلامية - السداسي الثاني -

إعداد الأستاذ:

د. حسام الدين مخلوف

السنة الجامعية: 2025/2024م

مقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

تُعَدُّ مادة الحضارة الإسلامية من المقررات الأساسية التي تهدف إلى تعريف الطلبة بجوانب الإشعاع الحضاري الذي قدّمته الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل المجيد، وإبراز الأسس الفكرية والقيمية التي قامت عليها تلك الحضارة الإسلامية الفذة. وسعيًا منا لترسيخ الوعي بأهمية تاريخنا الحضاري المشرق، وإظهار مدى إسهام المسلمين في مجالات المعرفة الإنسانية ومختلف العلوم التطبيقية، ومنه استلهم الدروس والعبر لبناء واقع معاصر متوازن يجمع بين الأصالة والتجديد، أعدنا هذه المطبوعة البيداغوجية لفائدة طلبة العلوم الإسلامية - السنة الثانية ليسانس -، وهي تحوي دروسا مختصرة في مقياس "مدخل إلى الحضارة الإسلامية" تنسجم مع طبيعة التخصص من جهة، وتتفق مع البرنامج المسطر من طرف وزارة التعليم العالي والبحث العلمي من جهة أخرى، والذي حملني على إعدادها أمران: احتياج الطلبة إلى مرجع موحد في هذه المادة، وتدرسي لهذا المقياس في كلية العلوم الإسلامية، وقد استندت في تحضيرها إلى مصادر متنوعة، وقد حاولت -قدر المستطاع- أن أيسر عرض هذه المادة على الطلبة في صورة مختصرة، فجاءت معظم الدروس والمحاضرات في شكل نقاط منظمة، مرفقة ببعض الصور المعبرة، وجعلت في نهاية كل درس بعض الأسئلة والتدريبات العملية التي تسهل المراجعة على الطلبة، وتفتح لهم باب البحث والمطالعة.

والله أسأل أن ينفع بهذه المطبوعة طلابنا الأعزاء، كما أرجو أن يجدوا فيها بغيتهم العلمية، ونسأل الله القبول والإخلاص في القول والعمل، والحمد لله رب العالمين.

معلومات حول مقياس مدخل إلى الحضارة الإسلامية:

السنة الثانية ليسانس

السداسي الثاني.

عنوان الوحدة: التعليم الأساسية

الرصيد: 4

المعامل: 2

أهداف التعليم:

__ التعرف على مصادر ومراجع الحضارة الإسلامية.

__ التعرف على المصادر المقصودة وغير المقصودة في الحضارة الإسلامية.

__ التعرف على خصائص التاريخ والحضارة الإسلامية وأهميتها.

__ تقييم المصادر والمراجع.

المعارف المسبقة المطلوبة: المعلومات المكتسبة من خلال دراسته للسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي.

محتوى المادة:

1_ مفهوم الحضارة الإسلامية: وأسسها ومقوماتها وأبرز خصائصها ومصادرها وعوامل قيامها وعوامل انهيارها.

2_ النظم الإسلامية:

النظام السياسي: (الخلافة-الوزارة-الكتابة-الحجابة)

النظام الإداري: (الدواوين-الأمانة)

النظام القضائي: (القضاء-المظالم-الحسبة)

النظام المالي: (موارد الدولة الإسلامية-جزية-خراج-عشور-فيء-زكاة)

النظام العسكري: (الجيش-الأسطول)

3_ مظاهر الحضارة الإسلامية:

الحياة الاقتصادية: (النشاط الزراعي - الحرف والصناعات الأساسية - التجارة)

الحياة الاجتماعية: (عناصر السكان - العادات والتقاليد - المأكل - الملابس)

المراجع:

1. مدخل إلى الحضارة الإسلامية لعماد الدين خليل
2. دراسات في الحضارة العربية الإسلامية خالد سليمان القرعان
3. مدخل ودراسة في الحضارة العربية الإسلامية فؤاد مرعي
4. الحضارة الإسلامية أحمد عبد الرحيم السايح
5. الكتاب في الحضارة الإسلامية يحيى الجبوري
6. الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة شوقي أبو خليل
7. الحضارة الإسلامية: إبداع الماضي وآفاق المستقبل لعبد الحليم عويس
8. منهج الحضارة الإنسانية في القرآن لمحمد سعيد رمضان البوطي
9. قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية لراغب السرجاني.
10. مكانة الحضارة الإسلامية عالميا للدكتور محمد مجدان.
11. روائع تاريخ الطب والأطباء المسلمين، إسلام صبحي المازني.
12. السنن الإلهية في السيرة النبوية، أبو اليسر رشيد كهوس.
13. مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي.
14. فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي، سليمان الخطيب.

15. كتب مالك بن نبي وسلسلة "مشكلات الحضارة":
16. بين الرشاد والتهيه.
17. تأملات.
18. دور المسلم ورسالته.
19. شروط النهضة.
20. الصراع الفكري في البلاد المستعمرة.
21. الظاهرة القرآنية.
22. فكرة الإفريقية الآسيوية.
23. في مهب المعركة.
24. القضايا الكبرى.
25. مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي.
26. مشكلة الثقافة.
27. من أجل التغيير.
28. ميلاد مجتمع.
29. وجهة العالم الإسلامي.

المحاضرة الأولى: مفهوم الحضارة الإسلامية وأسسها

أولاً: مفهوم الحضارة الإسلامية:

1. في اللغة:

جاء تعريف هذا اللفظ في بعض معاجم اللغة العربية على أنه ما يقابل البداوة، ومن ذلك: ما نجده في لسان العرب بأنّ: "الحضارة" -بكسر الحاء وفتحها- تعني الإقامة في الحضر، أي في المدينة، بخلاف البداوة¹.

وفي معجم تاج العروس: أنّ الحضارة، والحضرة، والحضر، هي المدن. وفي القاموس المحيط أنّ: لفظ الحضارة مشتق من فعل حضر، أي حضر الإنسان واستقر في المدينة. فالحضارة هي خلاف البادية.

وعليه فالحضارة² في اللغة هي: الإقامة في الحضر حسب هذه الآراء. لكنّ دلالة هذا اللفظ قد تطورت من الحضور الشخصي في مكان ما، وفي زمن ما، إلى الحضور الدائم من جهة، وإلى الحضور بقوة، فالحضُر هو: الرجل ذو البيان والفقّه لاستحضار مسائلهما³.

2. في الاصطلاح:

¹ لسان العرب، ابن منظور، دار الحديث، القاهرة، دون طبعة، 2003م، مج2، ص485.

² لم ترد لفظة الحضارة في القرآن الكريم بصورة صريحة، وإنما وردت لفظة حاضرة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَسَأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ [الأعراف:163].

وفي المقابل فقد ميّز الإسلام بين البدو والحضر، فقد عبر القرآن بلفظة الأعراب للبدو، كما قال تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ [التوبة:97]، ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾ [الفتح:11].

³ المعجم الكبير، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط1، 2000م، الجزء الخامس: حرف الحاء، ص431.

يرى ألبرت أشفيتسر أنّ الحضارة هي: "التقدم الروحي والمادي للأفراد والجماهير على السواء"⁴.

فالحضارة هي: مجموعة المنجزات المادية والمعنوية التي يحققها الإنسان في مجتمعه، نتيجة تفاعله مع البيئة المحيطة به، وتعبّر عن مستوى تقدّمه في مجالات الفكر والعلم والأخلاق والفن والنظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي.

وهي ليست مجرد مظاهر مادية كالعمران والصناعة، بل تشمل أيضًا القيم الروحية والفكرية التي تميز أمة عن أخرى، فهي ثمرة التفاعل بين الإنسان والمجتمع والزمان والمكان.

والحضارة الإسلامية: وصف لها بأنها إسلامية؛ لأنّ الإسلام يعدّ المنظم الشامل لكل جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية وغيرها. بل أكثر من ذلك، فإنّ الإسلام يعتبر الأصل والأساس لهذه الحضارة في جميع المجالات، وبدونه لا معنى لهذه الحضارة أصلاً.

الملحق 1: الحضارة الإسلامية بين الثقافة والعمران



⁴ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، دار الصحوة، ط1، 2009م، ص11.

3. الفرق بين الحضارة والثقافة والمدنية:

المدنية: تستعمل في الأصل على سكنى المدن.

الثقافة: تطلق على الجانب الروحي أو الفكري.

الحضارة: تشمل الجانبين الروحي والمادي أو الفكري والصناعي.

4. الحضارة عند ابن خلدون (ت 808هـ)

الحضارة عند ابن خلدون هي: الوصول إلى منتهى التطور الثقافي الشخصي المحلي للجماعة، والدخول في دور الحضارة، وهي دور الرقي الاجتماعي الذي لا يتطور، لهذا يقول: "إنّ الحضارة هي نهاية العمران وخروجه إلى الفساد"⁵.

5. الحضارة عند مالك بن نبي (ت 1973م)

الحضارة عند مالك بن نبي هي: "جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر لكل عضو فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوره"⁶.

وإنّ فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي قائمة على أساس حركة التعاقب الدوري أو باصطلاح آخر: الدورة الحضارية. فالحضارة ليست مجرد تقدّم مادي أو تراكم تقني، وإنما هي حركة تاريخية تخضع لقانون، سماه قانون الدورة الحضارية أو التعاقب الدوري للحضارات. وبموجب هذا القانون تمرّ كل حضارة -في نظره- بمراحل ثلاث متعاقبة، لكل مرحلة خصائصها النفسية والفكرية والاجتماعية.

ومراحل الحضارة -إجمالاً- هي:

⁵ ينظر، مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط3، ج2، ص466-468.

⁶ مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مالك بن نبي، ترجمة بسام بركة وأحمد شعبو، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 2002م، ص40.

1- مرحلة الروح.

2- مرحلة العقل.

3- مرحلة الغريزة.

وفيما يلي شرح تفصيلي لهذه المراحل:

أولاً: مرحلة الروح

تمثل هذه المرحلة بداية الحضارة، وفيها تكون الفكرة الدينية أو الروحية هي المحرك الأساس للمجتمع. فالإنسان في هذه المرحلة يكون موجَّهًا بالقيم العليا، ويغلب عليه الإيمان والانضباط الأخلاقي.

ومن خصائصها:

- سيطرة الوازع الروحي على السلوك الفردي والجماعي.
- خضوع الغرائز والشهوات لمنظومة أخلاقية صارمة.
- قوة التضامن الاجتماعي والشعور بالرسالة.
- استعداد كبير للتضحية والعمل الجماعي.
- بساطة الحياة المادية مقابل سمو القيم.

مثالها: يرى مالك بن نبي أنّ مرحلة البعثة النبوية والخلافة الراشدة تمثل أوضح نموذج لهذه المرحلة في الحضارة الإسلامية؛ حيث كانت الروح هي القائد، والعقل خادماً لها.

ثانياً: مرحلة العقل

هي مرحلة نضج الحضارة وازدهارها، حيث يبدأ العقل في تنظيم منجزات الروح، وترجمتها إلى مؤسسات، وعلوم، ونظم سياسية واقتصادية.

ومن خصائصها:

- توازن نسبي بين الروح والعقل.
 - ازدهار العلوم والمعارف والفنون.
 - بناء الدولة والمؤسسات والقوانين.
 - توسّع العمران وقوة الإنتاج.
 - انتقال المجتمع من العاطفة الدينية الخالصة إلى التفكير المنهجي والعقلاني.
- وفي هذه المرحلة: لا تختفي الروح، لكنها تفقد دور القيادة. ويصبح العقل أداة التخطيط والتنظيم. وتبلغ الحضارة قممتها التاريخية.

مثالها: العصر العباسي في أوجّه، والأندلس في زمن ازدهارها العلمي والفكري⁷.

ثالثاً: مرحلة الغريزة

هي مرحلة الانحدار الحضاري، حيث تتحرر الغرائز من الضبط الروحي والعقلي، ويبدأ التفكك الداخلي.

ومن خصائصها:

- سيطرة الشهوة والمصلحة الفردية.
- تراجع القيم الأخلاقية.
- شيوع الترف والفساد.
- ضعف الشعور بالمسؤولية والرسالة.
- تحوّل العقل إلى أداة تبرير للغرائز بدل ضبطها.

⁷ ينظر، شروط النهضة، مالك بن نبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق.

ومن نتائجها: تفكك المجتمع من الداخل. وعجز الحضارة عن الإبداع. وقابلية المجتمع للاستعمار أو الانهيار. ونهاية الدورة الحضارية.

ويرى مالك بن نبي أن السقوط لا يكون بسبب ضعف الوسائل المادية، بل بسبب انهيار الإنسان من الداخل، أي بفقدان الفكرة الموجهة⁸.

ولهذا فشروط الحضارة عند مالك بن نبي تتكون من ثلاثة أعمدة أساسية، وهي:

1. مشكلة الإنسان: في أساسها لا تعالج إلا بتوجيه ثقافته وتصفية العادات والتقاليد الميثة في نفسه، وتنمية روح الفعالية.

2. مشكلة التراب: المقصود بالتراب الإمكانيات والطاقات والثروات المعدنية والزراعية وغيرها.

3. مشكلة الوقت: بتحديد فكرة الزمن يتحدد معنى التأثير والإنتاج⁹.

إنسان + تراب + وقت = حضارة.

وللحضارة مظاهر تعرف بها، كالمظهر السياسي، والمظهر الاقتصادي، والمظهر الاجتماعي، والمظهر الفكري والديني والفني.

6. الحضارة عند محمد سعيد رمضان البوطي (ت 2013م)

انطلاقاً من اشتقاق لفظ الحضارة اللغوي، يرى بأن الحضارة هي: "ثمرة التفاعل بين الإنسان والكون

والحياة". ولهذا فقد عرف الحضارة على أنها: "ثمرات الجهد الذي يبذله الإنسان، لاستغلال المكونات التي

من حوله، في سبيل تحقيق مقومات المجتمع الإنساني، وبث أسباب الخير والسعادة".

⁸ ينظر، فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي، سليمان الخطيب.

⁹ مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مالك بن نبي، ص 50.

ومن هذا التعريف يرى البوطي أنّ عناصر وأركان الحضارة الأساسية هي: الإنسان، الحياة، الكون.

ومن كل ما سبق يمكن إعطاء تعريف جامع لمصطلح الحضارة على أنها: (مجموع المنجزات الفكرية والاجتماعية والأخلاقية والمادية، التي يحققها مجتمع معين، في مسيرته لتحقيق الرقي والتقدم)¹⁰.

ثانيا: أسس الحضارة الإسلامية:

إنّ الحضارة الإسلامية تقوم على الأسس والمقومات التالية:

1. العقيدة: وهي تقوم على تنظيم الصلة بالله والكون والحياة، وذلك من خلال ما يلي:

- العقيدة تنظم صلة العبد بربه؛ فلا يكون شيء في قلب الإنسان وذهنه إلا الله سبحانه وتعالى.
- العقيدة تحقق السمو الإنساني.
- العقيدة تحقق السمو في التفكير أي النظر في مخلوقات الله والتدبر والتأمل فيها.
- تدعو العقيدة إلى تسخير العوالم للإنسان.
- الرجاء وطمأنينة القلب.
- الإحاطة والشمول.
- الجرأة والشجاعة في مواجهة الشدائد¹¹.

¹⁰ منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، ط1، 1982م، ص12-13.

¹¹ ينظر، أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، عبد الرحمن حسن حبنكة، دار القلم، بيروت، ص30-35.

2 . النظام الاجتماعي: جاء الإسلام بنظام اجتماعي متكامل؛ فهو نظام رباني اختاره الله للبشرية

لينظموا حياتهم عليه، ويحييهم به حياة طيبة، ويسعدهم في الدنيا والآخرة. وإنّ من أهم أسس هذا النظام

ما يلي:

- المساواة بين البشر.
- العدالة المطلقة.
- الحرية: وتتجلى الحرية في المجتمع الإسلامي في أجلّ معانيها وأسمى مقاصدها وأروع مظاهرها، ومن هذه الحريات:

- حرية الاعتقاد: فلا إجبار على ترك الدين واعتناق دين آخر ولو كان الإسلام.
- حرية التفكير: دعوة القرآن إلى التفكير في المخلوقات.
- حرية القول: حرية القول في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

3 . الأخوة: المجتمع الإسلامي يقوم على أساس متين من الأخوة الإنسانية.

4 . الأخلاق والفضائل: فالأخلاق في التصور الإسلامي هي أصل الحياة الإسلامية وشعبها التي تكون

صرح المجتمع الإسلامي.

سؤال: اذكر أهم الفروقات بين هذه المصطلحات: الحضارة والثقافة والمدنية وفقا لهذا الجدول:

الفرق من حيث:	الثقافة	المدنية	الحضارة
التعريف			
المجال			
العناصر			
الغاية			
المثال			

المحاضرة الثانية: خصائص الحضارة الإسلامية ومصادرها

تُعدّ الحضارة الإسلامية من أرقى الحضارات الإنسانية التي عرفها التاريخ، إذ تميّزت بعمقها الروحي وشمولها المعرفي، وبتوازنها بين المادة والروح، والعقل والوحي، والدنيا والآخرة. فهي حضارة قامت على أساسٍ متينٍ من العقيدة الإسلامية التي جعلت الإنسان محور الاستخلاف في الأرض، وسعت إلى بناء مجتمع متكامل تسوده القيم الأخلاقية والعدالة الاجتماعية.

وقد تجلّت خصائص الحضارة الإسلامية في طابعها الإنساني والعالمي، إذ لم تقتصر على أمة دون أخرى، بل استوعبت الشعوب والثقافات المختلفة، فجمعت بين الأصالة والتجديد، والتنوع والوحدة، فكانت حضارةً منفتحةً على الآخر دون أن تفقد هويتها. كما تميّزت بالشمول في ميادينها، إذ امتدت إلى مجالات العلم والفكر والفن والعمارة والتنظيم الاجتماعي والسياسي.

وأما مصادرها، فقد استمدّت روحها ومقوماتها من القرآن الكريم الذي يُعدّ المصدر الأول للتوجيه والبناء، ومن السنّة النبوية الشريفة التي جسّدت المبادئ القرآنية في واقع الحياة، إضافةً إلى الاجتهاد العقلي الذي أتاح للمسلمين التعامل مع المتغيرات بروح من الحكمة والمرونة، فضلاً عن التراث الإنساني الذي أفادت منه الحضارة الإسلامية وأعادت صياغته في إطارها القيمي والديني¹².

وستتعرف من خلال هذه المحاضرة عن أهم تلك الخصائص والمصادر وذلك على النحو الآتي:

¹² ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص 20.

أولاً: خصائص الحضارة الإسلامية

تتميز الحضارة الإسلامية بعدة خصائص من أبرزها:

1. الحضارة الإسلامية حضارة ربانية.
2. الحضارة الإسلامية حضارة إنسانية.
3. الحضارة الإسلامية تتميز بطابعها العالمي والشمولي.
4. الحضارة الإسلامية صالحة لكل زمان أو مكان.
5. الحضارة الإسلامية متطورة.
6. الحضارة الإسلامية معطاءة بحيث أنها تأثرت بالحضارات السابقة وأثرت على الحضارة الغربية (قدمت عطاء غنيا بالعلم والمعرفة، يستفيد منه الجميع، وكأنه موجه لفائدة الإنسانية بأسرها).
7. الحضارة الإسلامية حضارة العلم والعمل.
8. الحضارة الإسلامية حضارة متوازنة؛ فقد وازنت بين الجانب الروحي والمادي في حياة الإنسان، فلا يمكن تغليب جانب على الآخر.
9. الحضارة الإسلامية حضارة الوسطية والاعتدال.

10. الحضارة الإسلامية حضارة الأمانة العلمية.

11. الحضارة الإسلامية حضارة الجهاد.

12. الحضارة الإسلامية حضارة أخلاق مطلقة.

13. الحضارة الإسلامية حضارة تحترم الوجدان الإنساني كله.

14. الحضارة الإسلامية حضارة تقوم على العدل والمساواة والتسامح.

15. الحضارة الإسلامية حضارة حيوية وإيجابية ترفض الزهد اليائس من الحياة.

16. الحضارة الإسلامية حضارة تفاعل مع الحضارات والعقائد الأخرى.

17. الحضارة الإسلامية حضارة تكامل لا تصادم¹³.

ثانيا: مصادر الحضارة الإسلامية

للحضارة الإسلامية عدة مصادر تعتمد عليها وتستقي منها المادة العلمية، وذلك من خلال مصدرين

أساسين هما: القرآن والسنة. بالإضافة إلى العقيدة الإسلامية، والشريعة والأخلاق في الإسلام، واللغة العربية

وآدابها.

¹³ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص 20-22.

1/ القرآن الكريم: المصدر الأول للإسلام

يُعدّ القرآن الكريم المصدر الأول والأساس للحضارة الإسلامية، فهو النور الذي أضاء دربها، والمرجع الذي استمدّت منه قيمها ومبادئها ونظامها العام. لم يكن كتاباً للعبادة فحسب، بل كان منهجاً شاملاً للحياة يرشد الإنسان إلى بناء مجتمع قائم على العدل والعلم والرحمة. ومن خلال توجيهاته تأسست العلوم والمعارف، ونشأت نظم الحكم والاقتصاد والتعليم في ضوء مبادئه السامية، فصار القرآن الكريم محوراً لكل نهضة فكرية وروحية أسهمت في بناء صرح الحضارة الإسلامية وتميّزها بين سائر الحضارات¹⁴.

2/ السنة الصحيحة: المصدر الثاني للإسلام

تُعدّ السُنّة النبويّة الشريفة المصدر الثاني للحضارة الإسلامية بعد القرآن الكريم، وهي كل ما ورد عن رسول الله ﷺ قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو صفة، وهي الترجمان الحقيقي للقرآن والتطبيق العملي لتعاليمه، والبيان التفسيري لما أجمل فيه من أحكام وتوجيهات. فقد جسّد النبي ﷺ في أقواله وأفعاله وسيرته نموذج الإنسان الكامل الذي يُحتذى به في كل مجالات الحياة، من العبادة إلى السياسة، ومن الأخلاق إلى العلم والعمل. ومن خلال السُنّة تبلورت منظومة القيم والسلوك التي قامت عليها الأمة الإسلامية، فكانت ركيزة في بناء حضارتها الراشدة التي جمعت بين الروح والعقل، والمبدأ والتطبيق¹⁵.

¹⁴ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص 25-28.

¹⁵ المرجع نفسه، ص 29-31.

3/ العقيدة الإسلامية: المصدر الثالث للإسلام

تُعَدُّ العقيدة الإسلامية الأساس الذي قامت عليه الحضارة الإسلامية، فهي التي شكَّلت نظرة الإنسان المسلم إلى الكون والحياة والإنسان، وربطت وجوده بخالقه ربطاً وثيقاً قائماً على التوحيد والإيمان بالغيب والرسالة والآخرة. ومن هذه العقيدة انطلقت القيم التي وُجِّهت سلوك الفرد والمجتمع نحو العدل والحرية والمساواة، فكانت دافعاً للعمل والبذل والإبداع في مختلف الميادين. وقد منحت العقيدة الإسلامية للحضارة بُعدها الإنساني والأخلاقي، وجعلت من العلم عبادة، ومن العمل رسالة، ومن بناء الأرض سبيلاً لمرضاة الله تعالى¹⁶.

4/ الشريعة والأخلاق في الإسلام:

تمثِّل الشريعة والأخلاق في الإسلام ركيزتين أساسيتين في بناء الحضارة الإسلامية، إذ تنظِّم الشريعة حياة الإنسان في جوانبها كافة، من العبادة والمعاملات إلى الحكم والعلاقات الاجتماعية، وفق مبادئ العدل والرحمة والمصلحة العامة. أمَّا الأخلاق، فهي روح هذه الشريعة وجوهرها، إذ تهدف إلى تزكية النفس وتقويم السلوك وإرساء القيم الفاضلة في المجتمع. ومن خلال هذا التكامل بين التشريع والأخلاق، قامت حضارة راقية تجمع بين النظام والضمير، وتوازن بين الحقوق والواجبات.

¹⁶ المرجع السابق، ص 32-43.

وترتكز الأخلاق في الإسلام على أساس الدين والإيمان بالله تعالى، إذ لا تكون الأخلاق ذات قيمة حقيقية ما لم تنبع من إيمان صادق يوجّه السلوك ويزكّي النفس، فالأخلاق التي تخلو من هذا الباعث الإيماني تبقى مادية محدودة الأثر، وإن بدا ظاهرها حسنًا وجميلًا. ولهذا فقد تميزت الأخلاق في الإسلام بجملة من الخصائص من أهمها:

1. أنها شاملة لأفعال الإنسان الخاصة بنفسه أو المتعلقة بغيره.
2. أنها منسجمة مع الفطرة في تطبيقاتها العملية.
3. أنها مطلقة؛ أي أنها ليست لأصحاب دين وحدهم أو لجنس وحده فلا ازدواجية فيها للمعايير بين البشر.
4. أنها ثابتة؛ فهي صادرة من الله.
5. أنها واقعية وإلزامية، ووسطية، تعبدية وتشريعية؛ فهي معقولة ومعللة.
6. أنها لا تقف عند حدود القانون (استشعار مراقبة الله).
7. أنها واضحة، إيجابية فاعلة تُغيّر المنكر.
8. تقف مع الحق والمعروف.

9. تواجه الانحراف والفساد¹⁷.

5/ اللغة العربية: من مصادر الحضارة الإسلامية:

تُعَدُّ اللغة العربية من أهم مقومات الحضارة الإسلامية، فهي الوعاء الذي نزل به القرآن الكريم، ولسان السنة النبوية الشريفة، ووسيلة التعبير عن الفكر والعقيدة والمعرفة. وبفضلها توحدت الشعوب الإسلامية على اختلاف ألسنتها وأعراقها، فكانت عاملاً رئيساً في بناء الهوية الثقافية للأمة. كما أسهمت العربية في ازدهار العلوم والآداب، إذ دَوَّنت بها المؤلفات في الفقه والفلسفة والطب والفلك وغيرها، فغدت لغة العلم والحضارة لقرون طويلة، وأصبحت رمزاً لوحدة الفكر الإسلامي وخلود تراثه.

وإنَّ اللغة العربية ليست لغة من أرقى لغات العالم فحسب؛ بل هي أرقاها بيقين، وهي لا تفتقر إلا إلى أمة تقدر قيمتها وتبديها للعالم بشكل مناسب، فالعربية لغة دولية علمية دينية دنيوية، ويتصل باللغة العربية الخط العربي الذي أخذ حظه من الظهور والتطور منذ ظهور الإسلام؛ إذ صار انتشار الخط العربي مصاحباً لانتشار اللغة العربية بل زاد عليها حين صار يكتب به لغات غير عربية كالفارسية والأردية والتركية¹⁸.

ولا ننسى ظهور فن العروض في اللغة العربية على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي، فاللغة العربية لغة شاعرة لطبيعتها الموسيقية والفنية، كما أنها عرفت بأنها لغة النثر والقصص والحكم والخطابة، وكانت الأسواق -

¹⁷ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص44-48.

¹⁸ معالم الحضارة الإسلامية في القرن الثالث الهجري، أحمد عبد الباقي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1991م، ص305.

كسوق عكاظ مثلاً- مجال تنافس في كل هذه المجالات الأدبية. ومع هذه العالمية التي حققتها اللغة العربية وما حقته علومها وفنونها من مستوى رفيع، ومن انتشار كبير إلا أنّ هذا لا يعني أنها كانت منغلقة على نفسها، فلم تتفاعل مع اللغات والآداب الأخرى، بل تأثرت بترجمة أهم العلوم من مختلف اللغات، وأثرت في غيرها فأخذوا العلوم بها وترجموها إلى لغاتهم، وقد أثرت حتى في ألفاظ وكلمات بعض اللغات، لاسيما لغات الأكثرية الإسلامية كالفارسية والأردية والتركية، والتي دخل أبنائها في دين الإسلام أفواجا، وتعربوا فأصبحوا عربا بمقياس الإسلام - إذ العروبة القرآنية هي عروبة الفكر واللسان والعقل والوجدان-، وأما أعداد هؤلاء المتعربين، وإبداعاتهم في مختلف المجالات فأكثر من أعداد العرب وأكثر من أن تحصر¹⁹.

سؤال:

-هل اللغة العربية لغة محلية خاصة ببيئة معينة ومجتمع معين؟ أم هي عالمية منفتحة على كلّ الحضارات -
تأثرا وتأثيرا-؟

¹⁹ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص51-56.

المحاضرة الثالثة: عوامل قيام الحضارة وانهارها

شهد التاريخ الإنساني قيام حضارات عظيمة في مختلف أرجاء العالم، كالحضارة المصرية القديمة، والرافدية، واليونانية، والرومانية، والفارسية، وغيرها، وقد تركت جميعها بصمات واضحة في مجالات الفكر والعلم والفن والتنظيم الاجتماعي. وتقوم الحضارات عادةً على جملة من العوامل، من أبرزها: الاستقرار السياسي، والنظام الاقتصادي، والتطور الفكري والعلمي، إضافةً إلى القيم الدينية والأخلاقية التي تحفظ تماسك المجتمع. وفي المقابل، فإنّ عوامل الانهيار المتمثلة في انتشار الظلم والفساد، واندلاع الصراعات الداخلية، والتخلف عن القيم والمبادئ، كانت سبباً مباشراً في ضعف تلك الأمم وزوال حضاراتها، رغم ما حققت من قوّة ورقّيٍّ ومجدٍ في مختلف الميادين.

1_ نبذة عن الحضارات القديمة:

تعددت الحضارات القديمة التي تركت بصمتها في التاريخ الإنساني وتنوّعت، ومن أبرز تلك الحضارات ما يلي:

❖ **الحضارة الفرعونية:** نشأت في مصر على ضفاف النيل نحو سنة 3150 ق.م، وتميّزت بتقدّمها

الزراعي والاجتماعي والثقافي، وبنظامها الكتابي الهيروغليفي، كما أنشأت الأهرامات والمعابد

وبرعت في الطب والرياضيات والري وصناعة السفن، وانتهى حكمها بسيطرة الرومان.

❖ الحضارة الرومانية: من أعظم الحضارات الأوروبية، بسطت نفوذها على مناطق واسعة من أوروبا

وآسيا وإفريقيا، وحققت إنجازات بارزة في العمارة والنحت والزخرفة، واشتهرت بمعابدها ورموزها

الخاصة، وحكمها عدد كبير من الأباطرة.

❖ الحضارة الآرامية: موطنها في وسط وشمال سوريا وشمال بلاد الرافدين، وأصلها من الجزيرة العربية،

وينسبون إلى آرام بن سام بن نوح، وانتهى حكمهم بعد الغزو الآشوري، وقد عُرفوا لدى اليونان

بالسريان.

❖ الحضارة السومرية: من أقدم حضارات بلاد الرافدين (جنوب العراق حالياً)، وامتازت بتطورها

العماري واستخدامها أنظمة هندسية كالأعمدة والقباب²⁰.

2_ عوامل قيام الحضارات:

إنّ نشوء الحضارات القديمة كان نتيجةً لاجتماع عوامل اقتصادية واجتماعية وثقافية متعددة، ساهمت في

انتقال الإنسان من حياة التنقل إلى الاستقرار. فقد شكّلت الزراعة وتربية الحيوانات الأساس الأول

للحضارة، مما أتاح وفرة الغذاء ونمو السكان وظهور المهن والحرف والصناعات المعدنية، ثم تلا ذلك

التخطيط الحضري وقيام الأسواق والمراكز السياسية والدينية. كما ساعد التقدم والعمارة على تطوير الأبنية

الكبرى وأنظمة الكتابة والتقويم والطرق. ومع الزمن نشأت الأنظمة السياسية والتنظيم الاجتماعي، فظهرت

²⁰ ينظر، قصة الحضارة، ديورانت، ول. ترجمة: محمد بدران، دار الجيل، بيروت، ج1، ص15-60.

الطبقات الاجتماعية والجيش والحكومات المركزية وجباية الضرائب. ورغم أن اجتماع هذه العوامل جميعاً ليس شرطاً لقيام كل حضارة، فإنّ توفر معظمها يدل على مستوى متقدم من التطور الإنساني. وسنذكر أبرز عوامل قيام الحضارة وانحيارها كما صوّرها لنا ابن خلدون، وهي على النحو الآتي:

1. العوامل الطبيعية الجغرافية.

2. الانتقال من البداوة إلى الحضرة.

3. وجود سياسة ينتظم بها أمر العمران.

4. الثروة ودورها في الحضارة والعمران.

5. العدل ودوره في العمران والحضارة.

6. تطور الصناعات.

7. التخطيط الحضاري.

8. ظهور الأسواق.

9. الأمن الاقتصادي.

10. دور العلم.

وأما أهم عوامل انحيار الحضارة والعمران فقد لخصها ابن خلدون أيضاً فيما يلي:

1. تغلب العرب على الأوطان.

2. الاستبداد بالملك وحصول الترف.

3. الظلم مؤذن بخراب العمران.

4. الحضارة غاية العمران ونهاية لعمره ومؤذنة بفساده²¹.

الملحق 2: الأثر المعماري بوصفه علامة على اكتمال الدورة الحضارية



3_ عوامل قيام الحضارات وانهارها من منظور القرآن الكريم:

يرتكز النموذج الحضاري في القرآن الكريم على مبدأ اعتبار الإنسان خليفة الله في الأرض، فهو مكلف

بعبادة الله وعمارة الأرض، بخلاف النموذج الغربي الذي يقوم على المادية والعقل بمعزل عن الغيب. فالمعرفة

²¹ ينظر، مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، ت: علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، 2014م، ص 392-

في الإسلام تقوم على الوحي والعقل معاً، والدين يمثل منهجاً شاملاً يوحد المسلمين في مختلف أنحاء العالم. كما أنّ الإيمان في الإسلام لا يكتمل إلا بالعمل الصالح، والأخلاق فيه مستمدة من القرآن والسنة، لا من النسبية البشرية كما في الفكر الغربي، ولهذا نجد أنّ من العوامل التي نصّ عليها القرآن الكريم من أجل قيام الحضارة ما يلي:

- العقيدة: فلا حضارة دون عقيدة تدفعها وتغذيها.
 - الإنسان: عني القرآن الكريم بالإنسان وتأهيله ليكون صانع الحضارة.
 - العلم: قد اتسم النهج القرآني في دعوته إلى طلب العلم.
 - حضارة تعارف لا حضارة تصادم: يدعو القرآن الكريم إلى مبدأ تعارف الحضارات لا تصادمها.
- وقد أشار القرآن الكريم إلى عوامل اختيار الحضارة المتمثلة في:
- الانقلاب النفسي والذهني إلى الأدنى.
 - درجة الانقلاب العلمي والخلقي بناء على الانقلاب الذهني والنفسي المتدني.
- وقد ذكر الشيخ يوسف القرضاوي أسباب سقوط الحضارات ودمار الأمم وهلاكها، بعد أن بيّن بأنّ الأمم لا تقوم أو تسقط اعتباطاً، بل بناء على سنن ثابتة لا تتبدل، ومن هذه الأسباب:

1- الجحود بآيات الله تعالى وعصيان رسله.

2- اتباع أمر كل جبار عنيد، وإطاعة أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، كفعل عاد وثمود.

3- الفرح بالعلم المادي، والإعراض عما جاء به الوحي، كالذين حكى الله عنهم في آخر سورة غافر.

4- الغرور بالقوة المادية والثروة المالية، والغفلة عن بأس الله عز وجل، كفعل فرعون وقارون.

5- الظلم والبخس والبغي بغير الحق، وخصوصاً على الفقراء والمستضعفين، كفعل مدين قوم شعيب.

6- اقتراف الفواحش، واتباع الشهوات، كفعل قوم لوط.

7- شيوع الفساد في الأرض، واستعلان المنكر، وعدم التناهي عنه كما فعل بنو إسرائيل ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة:79].

8- الكفر بأنعم الله وعدم القيام بشكرها، بل استخدامهما في معاصي الله ﴿فَكَفَرْتَ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: 112].

9- الترف والبطر: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ [القصص: 58].

وكل واحدة من هذه الجرائم حُرِيَّة أن تعجل بعقاب الله وبأسه الذي لا يُرَد عن القوم المجرمين. فكيف إذا اجتمع عدد منها في أمة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات؟²².

4_ أسباب واقعية لسقوط الحضارات:

يمكن أن نلخص سقوط الحضارات بسبب تفشّي الظلم والفساد، وضعف القيم والأخلاق، واندلاع الصراعات الداخلية، إلى جانب الجمود الفكري وفقدان روح الإصلاح والتجديد، مما يؤدي في النهاية إلى ضعفها وزوالها، وأما واقع الحضارة الإسلامية اليوم فهو أقرب إلى:

أ_ **الفساد السياسي:** ويتمثل ذلك في وصول مجموعة صغيرة من الأفراد إلى قمة السلطة والحكم، حيث يمتزج لديهم البذخ الشديد بالإفساد المدمر، وهم في الأساس متصفون بالقسوة والظلم والفساد.

ب_ **الفساد الاقتصادي:** فالحضارة تسقط عندما تنقسم الأمة إلى فئتين غير متساويتين: فئة قليلة تملك كل شيء وتتحكم في الثروة، وفئة كبيرة محرومة من أبسط الحقوق والاحتياجات الأساسية، مما يؤدي إلى انهيار المجتمع وانهيار حضارته.

²² ينظر الرابط لموقعه الرسمي: <https://www.al-qaradawi.net/content/%D8%A3%D8%B3%D8%A8%D8%A7%D8%A8-%D9%87%D9%84%D8%A7%D9%83-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D9%85>

جـ_ الفساد الاجتماعي: إن الأمة إذا التزمت بالقيم الخلقية والمبادئ الإنسانية، فقد أمدت في عمرها،

وفي حضارتها، وحفظت قوتها، وأبعدت شبح السقوط عنها. وعلى النقيض من ذلك، إذا تنازلت الأمة

عن هذه القيم والمبادئ، فإنها ستفتت وتتدنى سريعاً، وستحدر حضارتها إلى الضعف والسقوط.

د_ الظلم والاستكبار: بالعودة إلى تاريخ الأمم والحضارات، نجد أنه لم يذكر لنا اسم دولة أو حضارة،

كانت ظالمة، وبقيت طويلاً فالظلم يدمر الدول ويقوض الحضارات، كما قال ابن خلدون في مقدمته.

هـ_ تمزق الأمة وتفرقها: فقد سبق سقوط كثير من الحضارات والأمم، بسبب التمزق الداخلي، ونتيجة

للأسباب السابقة الأخرى، ففقدت وحدتها وقوتها، وتحولت إلى جماعات متناحرة ومتنافرة ضعيفة أمام

الآخرين.

5_ عودة الحضارة الإسلامية من جديد:

ومع كل ما سبق ذكره فإنّ الأمل باق في عودة الحضارة الإسلامية ما دامت الأمة تمتلك مقومات النهوض

من إيمانٍ راسخ، وعلمٍ نافع، ووحدةٍ فكرية وروحية. فبعث الحضارة من جديد يتطلب استلهاً من قيم الإسلام

في العدل والعلم والعمل، واستثمار طاقات الشباب والعقول المبدعة لبناء مستقبلٍ يربط الأصالة بالتقدم،

ويُعيد للأمة دورها الريادي في خدمة الإنسانية²³.

²³ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص294.

5_1_ إرهابات ودلائل عن عودة الحضارة الإسلامية:

وتتمثل هذه الإرهابات فيما يلي:

1. إفلاس الحضارة الغربية الحديثة.

2. المبشرات من الله سبحانه وتعالى ومن رسوله الكريم ﷺ لهذه العودة.

3. قانون التداول والتغيير.

4. عناصر القوة الموجودة في الأمة الإسلامية²⁴.

1_ إفلاس الحضارة الغربية المعاصرة:

إنّ واقع وحال الحضارة الغربية حالياً، هو الخواء والإفلاس. فهذه الحضارة لم يعد لديها ما تقدمه للبشرية، ولهذا فمصيرها الانهيار والسقوط. فالحضارة الغربية المادية تتميز الآن بخواء وجفاف وعجز عن تزويد البشرية بأهداف وقيم سامية، تعيش من أجلها، وأحلام وآمال مرتفعة، تقود مسيرتها في دروب الحياة²⁵.

2_ بشائر عودة الحضارة الإسلامية:

هناك عدة بشارات بعودة الإسلام، وعودة حضارته من جديد، الذي نتمنى أن يكون قريباً. وهذا ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. وإنّ من البشارات انتشار الإسلام في العالم كله مستقبلاً، على

²⁴ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص 295.

²⁵ المرجع نفسه، 296.

الرغم من المكائد التي تحاك ضده، فالإسلام باق وروحه موجودة مع كل محاولات القضاء عليه. فعن تميم الداري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ليبلغن هذا الأمر (يعني الإسلام) ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عز يعز الله به الإسلام، وذل يذل الله به الكفر"²⁶.

ومن البشارات أيضا انتصار المسلمين على اليهود في المستقبل، وتحرير فلسطين والمسجد الأقصى منهم، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يحتبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر، يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله، إلا شجر الغرقد، فإنه من شجر اليهود"²⁷.

3_ سنة التداول والتغيير:

من الدلائل والإرهاصات بعودة الإسلام وعودة حضارته، سنة التداول والتغيير. فالتداول بين الأمم والمجتمعات واقع لا محالة، وإنّ المتتبع لأحوال الأمم والمجتمعات على طول التاريخ، يجد أن الحضارة قد انتقلت من أمة إلى أخرى. وهي الآن مستقرة في الغرب، لكنه تغير ولم يحفظ أمانة قيادة الحضارة، لأنّ الحضارة الغربية أهملت الجانب الروحي والأخلاقي، واهتمت بالجماد على حساب الإنسان، فكان من

²⁶ رواه أحمد في مسنده، رقم 16957، والمقصود ب: مدر، أي الخواضر والمدن التي بيوتها من مدر، أي: من حجر. وأما المقصود ب:

وبر، أي: البوادي التي بيوتها من وبر وشعر. والمعنى: المدن والأرياف، أي: في كل مكان.

²⁷ رواه مسلم في صحيحه، رقم 2926.

قانون الله وعدله، أن تنتقل الحضارة وتعود إلى المشرق الإسلامي مرة أخرى. وإنّ قانون التغير يعتبر من القوانين تعمل حالياً لفائدة الأمة الإسلامية²⁸.

وإذا ما طبق هذا القانون على الحضارة الغربية المعاصرة، التي وصلت ما وصلت إليه من التمكين والقوة والعلم والرخاء والتقدم المادي والتكنولوجي ولكن أهلها خانوا أمانة القيادة والمسؤولية الإنسانية، وطغوا وتجبروا وفسدوا وأفسدوا، أي أنهم غيروا ما بأنفسهم إلى الشر والفساد، ولذلك فإنهم يستحقون أن يطبق فيهم قانون الله وعدله، فيغير ما بهم ويسحب القيادة منهم وينزع الحضارة عنهم، ويجولها ويمنحها لغيرهم.

4_ عناصر القوة في الأمة الإسلامية:

توجد في الأمة الإسلامية عناصر وعوامل قوة كامنة، تؤهلها لاستعادة حضارتها من جديد، واحتلال المركز اللائق بها مستقبلاً، ولعل من أهمها ما يلي:

❖ العامل الروحي (رسالة الإسلام).

❖ القوة البشرية العددية.

❖ الموقع الاستراتيجي.

❖ القوة المادية والاقتصادية²⁹.

²⁸ ينظر، السنن الإلهية في السيرة النبوية، أبو اليسر رشيد كهوس، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م.

²⁹ ينظر، آفاق عودة الحضارة الإسلامية، عماد الدين خليل وعبد الحليم عويس، دار النشر للجامعات، 2009م.

5_2_ عقبات في طريق عودة الحضارة الإسلامية:

رغم كل هذه الدلائل والإرهاصات والبشارات بعودة الإسلام، وعودة حضارته. ورغم عناصر القوة المكنونة في الأمة الإسلامية، فإنّ هناك عقبات وعراقيل تواجه هذه العودة، ولعل من أهمها:

❖ التآمر الصليبي الصهيوني.

❖ وهن الأمة الإسلامية وتأخرها.

❖ رواسب ومخلفات الاستعمار والغزو الغربي.

5_3_ شروط عودة الحضارة الإسلامية:

إذا أرادت الأمة الإسلامية النصر والتمكين، واستعادة قيادتها وحضارتها فعليها تحقيق الشروط التالية:

❖ وجود الرغبة والإرادة للأمة الإسلامية، ووجوب قيام القيادة المسلمة بدورها الكامل.

❖ القضاء على حالة الانقسام في الأمة.

❖ القضاء على حالة التخلف والوهن في كل المجالات (الاقتصادي، الاجتماعي، السياسي، العلمي

والمعرفي).

❖ التخلص والتحرر من ضغط الواقع وثقله.

❖ الأخذ بالمشروع الحضاري الإسلامي والتمسك به.

سؤال: اكتب فقرة حول هذا الموضوع: لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟

المحاضرة الرابعة: النظام السياسي (الخلافة، الحجابة، الوزارة، الولاية)

كان النظام السياسي في الحضارة الإسلامية من أكثر الأنظمة تنظيماً وتطوراً في التاريخ، إذ قام على أسس شرعية تستمد مشروعيتها من الشريعة الإسلامية ومقاصدها في تحقيق العدل والمصلحة العامة. وتتمثل أبرز مكوّناته في الخلافة التي تُعدّ قمة الهرم ورمز وحدة الأمة، والوزارة التي ظهرت لتعين الخليفة في إدارة شؤون الدولة وتنسيق مؤسساتها، والحجابة التي وُجدت لضبط الدخول على الخليفة وتنظيم الاتصال به، أما الولاية فكانوا ممثلي السلطة في الأقاليم، يسهرون على تطبيق أحكام الإسلام وإدارة شؤون الناس بما يحقق الاستقرار والعدل. هكذا شكّل هذا النظام نموذجاً فريداً يجمع بين البعد الديني والتنظيم الإداري المتكامل.

1. الخلافة:

أ_ لغة: يقصد به من قام مقامه، وبقي بعده، فهو خليفته، وجمعه خلائف وخلفاء.

ب_ اصطلاحاً: السلطان الأعظم، وهو منصب رئاسة الدولة الإسلامية.

كما قال الماوردي: "هي خلافة عن النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا"³⁰.

ويجمع الخليفة تحت رئاسته ثلاث سلطات:

- السلطة التشريعية.

³⁰ الأحكام السلطانية والولايات الدينية، علي بن محمد الماوردي، ت: أحمد مبارك البغدادي، دار الفكر، بيروت، 1989م، ص15.

- السلطة التنفيذية.

- السلطة القضائية.

جـ. حكمها: الخلافة واجبة بإجماع العلماء.

دـ. واجبات الخليفة:

لخصها الماوردي في عدة نقاط، من أهمها³¹:

- (1) حفظ الدين على الأصول التي أجمع عليها سلف الأمة.
- (2) تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين.
- (3) قطع الخصام بينهم.
- (4) حماية البيضة (الدولة)، والذب عن الحوزة.
- (5) إقامة الحدود لتصان محارم الله عن الانتهاك وتحفظ حقوق عباده.
- (6) تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة.
- (7) جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة.
- (8) جباية الفبيء والصدقات.
- (9) تقدير العطاء.

³¹ الأحكام السلطانية، الماوردي، ص 16-18.

(10) استكفاء الأمناء (تكليف الأمين).

(11) تقليد النصحاء (تشغيل الخادم الناصح).

(12) أن يباشر بنفسه الأمور والأحوال.

هـ_ شروط الخليفة:

اشترط الفقهاء في الخليفة أربعة شروط، وهي:

1. العدالة.

2. العلم.

3. الكفاية.

4. سلامة الخواص³².

2. الحجابة³³:

أ_ لغة: هي المنع، من حجب إذا منع.

ب_ اصطلاحاً: يقصد بالحاجب: هو الشخص الذي من صلاحياته حجب الناس عن الخليفة.

³² الأحكام السلطانية، الماوردي، ص 6-7.

³³ ينظر، النظم الإسلامية، حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 1، 2001م، ص 30-49.

صحيح أنه في عهد النبي ﷺ وفي عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، كانت أبوابهم مفتوحة أمام كل الناس، ولكن بعد قيام الخوارج باغتيال الإمام علي، ومحاولة اغتيالهم لعمر بن العاص، ومعاوية، ظهرت وظيفة الحاجب في الدولة الأموية.

واستمرت وظيفة الحاجب في الدولة العباسية وزادت أهميتها وسلطانها تدريجياً، فأتخذوا حُجَّاباً اقتصر عملهم في أول الأمر على حفظ باب الخليفة واستئذان الداخلين عليه، ثم قوي سلطان الحاجب فصار يمنع الناس عن مقابلة الخليفة إلا في أمور مهمة. إذ صار بين الناس والخليفة داران: دار الخاصة ودار العامة؛ فيقابل كل فئة في مكان حسب ما يراه الحاجب.

وأما الحجابة في الدولة الأموية في الأندلس فقد كانت ذات مدلول آخر يختلف عنه في المشرق؛ لأنّ الحاجب لم يكن يعني لهم ذاك الشخص الواقف بباب الخليفة، وإنما كان ذلك الشخص الذي يتردد بين الخليفة والوزراء فهو بمثابة رئيس الوزراء³⁴.

3 الوزارة³⁵:

أ_ مفهومها: إنّ مصطلح الوزير فارسي الأصل؛ إلا أنّ وروده في القرآن يؤصل وجوده العربي، فهو بمعنى: المساعد والملجأ، فقد قال تعالى: ﴿كَأَلَا وَزَرَ﴾ [القيامة: 11]؛ أي: لا ملجأ.

³⁴ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص 66-67.

³⁵ ينظر، النظم الإسلامية، حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن، ص 159-172.

وقد ظهرت وظيفة الوزير مبكرة في حضارة الإسلام، ووجدت أيضا في عصر بني أمية، وربما تسمية الوزير في صدر الإسلام والعصر الأموي مستمدة من القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿وَجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَازُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه: 29-32].

وبدأت وظيفة الوزير تتخذ معالمها بشكل رسمي وقانوني ضمن النظام السياسي الإسلامي في العصر العباسي. وكانت الوزارة الإسلامية على نوعين:

- **وزارة تفويض:** وهي تتمتع بسلطات كاملة غير محدودة.

- **وزارة التنفيذ:** تتمتع بسلطات محدودة ثابتة.

ب_ صفات الوزير:

تشتط أن تكون في الوزير صفات كثيرة، من أهمها:

1. حسن العلم بالأمر الدينية.

2. حسن العقل.

3. شديد الحلم، جميل الصفح.

4. حلو اللسان، بليغ القلم.

5. حميد الأخلاق، تام القبول، أديب النفس.

6. سهل الحجاب، مبذول الإنصاف، ظاهر البشر.
7. معمور القلب بالنصيحة، معتقد الخير والصلاح.
8. قليل اللهو، بطيء الغضب، كريم الطبع، كتوم السر، صبوراً محتملاً.
9. صحيح الجسم والرأي، جيد الفكر³⁶.

جـ- واجبات الوزير:

1. أن يكون خبيراً بأدب التدبير والسنن والفرائض والأحكام.
2. أن يكون ناصحاً.
3. أن يكون مدمناً للنظر في سير الملوك وتدبيرهم وتجاربهم.
4. أن يجعل نهاره للنظر في أمور العامة (أمور الشعب).
5. أن يجعل ليله للنظر في أمور الخاصة (أمور الدولة).
6. أن يوكل لنفسه من يرفع أخباره إليه³⁷.

³⁶ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص 69.

³⁷ المرجع نفسه، ص 69-70.

4. الولاية³⁸:

بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية، كان لابد من توفير منصب جديد، فقد كان الخليفة يُفَوِّضُ إمارة بلد أو إقليم للوالي على جميع أهله؛ وكل هذا يتم باختيار الخليفة ورضاه، ومن ثم أصبح كل من يتولى بلد أو قطر نيابة عن الخليفة يسمى بالأمير أو الوالي.

فالولاية هم حكام الأقاليم، يوليهم الخليفة ثقة فيهم، ولا بد من توفر شروط فيهم.

أ_ شروط الوالي:

هنالك شروط لازمة (لا تنعقد الإمارة والولاية إلا بها)، وهي:

1. الذكورية.

2. الحرية.

3. البلوغ.

4. العقل.

5. العلم (المعرفة).

³⁸ ينظر، النظم الإسلامية، حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن، ص 52-61.

وإضافة إلى هذه الشروط فلا بد من توفر شروط أخرى مثل:

6. الشجاعة.

7. نسب قريش.

8. الإسلام.

9. السمع والبصر والنطق (سلامة الحواس).

10. العدالة.

11. الذكاء والفطنة.

12. الأمانة والرحمة بالناس.

13. التقوى والورع.

أسئلة:

— اشرح هذه المصطلحات: الخلافة والحجابه والوزارة والولاة، مع تبين الدور الذي أدّته كلٌّ من هذه

المناصب في بناء النظام السياسي والإداري للحضارة الإسلامية؟

— اذكر قائمة أبرز الخلفاء والولاة عبر التاريخ الإسلامي.

المحاضرة الخامسة: النظام الإداري والقضائي

تميّز النظامان الإداري والقضائي في الحضارة الإسلامية بدقّة التنظيم وشموليتهما، إذ استمدّا أسسهما من مبادئ الشريعة الإسلامية القائمة على العدل والمساواة وحفظ الحقوق. فقد نشأ النظام الإداري لتنظيم شؤون الدولة وتيسير مصالح الناس من خلال دواوين متخصصة كديوان الجند، وديوان الخراج، وديوان الرسائل. أمّا النظام القضائي فكان ركيزة لتحقيق العدالة، اعتمد على القاضي المستقل الذي يفصل في الخصومات وفق أحكام الشرع، إلى جانب مؤسسات مساندة كالمظالم والحسبة. وبذلك جسّد هذان النظامان روح الحضارة الإسلامية القائمة على العدل والإتقان في إدارة شؤون الأمة.

أولاً: النظام الإداري (الدواوين، الأمانة)

1. الدواوين:

جمع ديوان، وهو موضع تُضبط فيه أعمال الدولة وتُسجّل فيه أسماء الجند والعطاءات وسائر شؤون الإدارة،

وهو في أصله لفظ فارسي معرّب يدل على السجل أو المكتب الإداري³⁹.

وإنّ من أشهر الدواوين في الحضارة الإسلامية ما يلي:

³⁹ الأحكام السلطانية، الماوردي، ص205.

- **ديوان بيت المال:** وهو أصل الدواوين، إذ يدون فيه جميع ما يرد إلى بيت المال من عين وغنائم وأعشار.
- **ديوان النفقات:** يتم فيه تدوين ما ينفق أو يخرج من الأموال على الجيش وغيره.
- **ديوان الخراج:** يتولى أمور الجباية والحفاظ على حقوق بيت المال.
- **ديوان الجيش (الجند):** وفيه تحفظ سجلات بأسماء الجند وأنسابهم ومراتبهم وأرزاقهم وأعطياتهم.
- **ديوان البريد:** يتولى نقل الرسائل والأوامر بين الخلافة والولايات.
- **ديوان الرسائل:** يتم فيه كتابة رسائل الخليفة وأوامره إلى الولاة.
- **ديوان التوقيع والدار:** جمع القصص والرفاع التي ترفع إلى الخليفة، وشرح ما فيها، ورفعها إليه؛ ليقول فيها رأيه.
- **ديوان المستغلات:** يتولى صاحبه إدارة ممتلكات الدولة من العقارات والأراضي الزراعية.
- **ديوان الصدقات:** جباية موارد الزكاة وغيرها من الصدقات وتوزيعها على مستحقيها وفق الأحكام الشرعية.
- **ديوان المصادرة:** تسجيل الأموال المصادرة بأنواعها المختلفة، وأسماء من صودرت منهم.
- **ديوان الفض:** يقوم بفتح الرسائل بعد تلقيها وتلخيص محتواها وتوضيحه ليطلع عليها الخليفة ويوقع ما يراه بشأنها.

- ديوان الزمام: يتولى الإشراف على الدواوين الأخرى ومرافقتها وتدقيق أعمالها، خاصة ما يتعلق

بالجانب المالي منها⁴⁰.

ثانيا: النظام القضائي: (القضاء، الحسبة، الشرطة)

1. القضاء:

كان النبي ﷺ هو المعلم والمربي في المسجد، والإمام في الصلاة، والقائد في المعارك، والقاضي بين الناس، وأما في عهد الخلافة الراشدة ولاتساع رقعة الإسلام والمسلمين فقد وضع عمر بن الخطاب نظاما آخر للقضاء؛ إذ عيّن القضاة في مختلف المدن والأقاليم، وسُنّت لهم القواعد والنظم التي يجب عليهم اتباعها. ثم تطور نظام القضاء أكثر في العصر الأموي، وأصبح تعيين القاضي يصدر من طرف الخليفة مباشرة، أو من الوالي المفوض له من الخليفة؛ وكان معاوية أول خليفة امتنع من القضاء تماما، ودفعه إلى غيره، فكان له قضاة في قاعدة ملكه، فضلا عن قضاته في الأمصار.

وكذلك الأمر في العصر العباسي، حيث ظهر منصب قاضي القضاة، وهو ما يقابل في زمننا منصب (وزير العدل)، والذي كان مقره عاصمة الدولة، وأصبح مسؤولا عن تنظيم شؤون القضاء في الدولة⁴¹.

⁴⁰ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص72-74.

⁴¹ المرجع نفسه، ص75-78.

2. الحسبة:

أ_ مفهومها: هي من الوظائف التي يتصل عملها بعمل القضاء والشرطة، ولكنها مستقلة عنهما، ويقال لصاحبها (المحتسب). وتتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وهي تعتبر نظاما رقابيا تنفيذيا. وأول من احتسب هو الرسول ﷺ إذ كان ينصح التجار ويذكرهم بعدم الغش، وأول من وضع نظام الحسبة عمر بن الخطاب إذ كان يستخدم الدرة أو السوط في معاقبة المخالفين. وقد صارت وظيفة المحتسب في القرن الرابع الهجري من الوظائف الثابتة الوطيدة الأركان في جميع الدول الإسلامية⁴².

ب_ شروط المحتسب:

- أن يكون المحتسب مسلما.
- أن يكون المحتسب عاقلا.
- العدالة.
- أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.
- أن يكون بصيرا بالأمر وعواقبها.
- أن يكون على علم بحال المدعوين وأعرافهم وعاداتهم ونفسياتهم.

⁴² ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص 78-79.

- أن يكون واسع الصدر لا يتسرع بالإجابة.
- أن يتدرّج في أمره ونهيه بحسب حال من يدعوهم.
- أن يبدأ بالأهم قبل المهم.
- أن يكون الإخلاص والغيرة على الإسلام والمسلمين دافعه إلى الاحتساب.
- أن يأخذ بمبدأ القدوة الحسنة⁴³.

3- الشرطة:

أول جهاز أُسس للشرطة في المدينة المنورة، ومنها انتشرت أجهزة الشرطة في الولايات الإسلامية، واتسع نظام الشرطة.، ويعدّ عثمان بن عفان أول من اتخذ صاحباً للشرطة وهو عبد الله بن قنفذ التيمي. وكان لصاحب الشرطة مكانة هامة في العصر الأموي والعباسي؛ حيث كان يسهم مع الوالي وعامل الخراج في تحصيل الجزية والخراج. وقد كانت وظيفة الشرطة وظيفة مساعدة لبعض الوظائف الأخرى كالوالي وصاحب الخراج وغيرهم⁴⁴.

أسئلة:

- اذكر ثلاثة دواوين ظهرت في الخلافة الإسلامية وبين كيف ظهرت مع شرح واف لمهامها.

⁴³ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص 80-81.

⁴⁴ المرجع نفسه، ص 81-83.

- ما الشروط التي ينبغي أن تتوفر في الحاكم في العصر الحديث من أجل تحقيق مقاصد الإمارة في الإسلام؟

- وضح مهام الحسبة والشرطة مع ذكر أمثلة واقعية من التاريخ الإسلامي.

الملحق 3: المؤسسات القضائية في المجتمع الإسلامي: مشهد للقضاء



الملحق 4: المؤسسات الرقابية في المجتمع الإسلامي: مشهد للحسبة والشرطة



المحاضرة السادسة: النظام المالي والعسكري

يُعدّ النظامان المالي والعسكري من الدعائم الأساسية التي قامت عليها الدولة الإسلامية، إذ مثلاً ركيزتين لحفظ الاستقرار الداخلي والدفاع عن الأمة. فقد تأسّس النظام المالي على مبادئ العدل والتكافل، من خلال موارد شرعية كالزكاة والخراج والجزية والفيء، تُجمع وتُنفق في مصارفها المحددة لخدمة مصالح المسلمين. وأما النظام العسكري فقد كان منظماً ومبنياً على العقيدة والجهاد في سبيل الله، وكان هدفه رفع راية التوحيد وحماية الدين والدولة وتأمين الحدود، مع اعتماد التخطيط والقيادة والكفاءة في إدارة الجند. وبذلك تحقق التوازن بين القوة المادية والقيم الروحية في بناء الحضارة الإسلامية.

أولاً: النظام المالي (الزكاة، الفيء، الجزية، الخراج، الغنيمة، العشور):

1. الزكاة ومصارفها:

إنّ الزكاة فريضة مالية فرضها الله تعالى حقاً للفقير في مال الغني، وهي تشكل أساساً أهم الموارد الضرورية للدولة. وأما الجهات التي تصرف فيها الزكاة جاء ذكرها صريحاً في القرآن في سورة التوبة⁴⁵، وذلك في

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ

وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 60].

⁴⁵ ينظر، فقه الزكاة: دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة، يوسف القرضاوي، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م، ص 39-40.

2 الفية: وهو كل مال منقول أُخذ من الكفار بغير قتال، وبلا إيجاب خيل ولا ركاب. وهو لله وللرسول

ﷺ⁴⁶. وقد قال تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ

وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ

عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿الحشر: 7﴾.

3 الجزية: وهي ما يُضرب على رقاب الكفار لإقامتهم في بلاد المسلمين. فالجزية موضوعة على الرؤوس

وتسقط بالإسلام، وأما الخراج فهو موضوع على الأراضي فلا يسقط، فهو ضريبة مالية تُفرض على رقعة

الأرض إذا بقيت في أيديهم، ويرجع تقديره إلى الإمام أيضاً، فله أن يقاسمهم بنسبة معينة مما يخرج من

الأرض كالثلث والربع مثلاً، وله أن يفرض عليهم مقداراً محدداً، مكيلاً أو موزوناً، بحسب ما تُطيقه الأرض،

وقد يقوم ذلك بالنقود⁴⁷. ودليل الجزية قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا

يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ

وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: 29].

4. الخراج وخصائصه: الخراج هو ما يوضع من الضرائب على الأرض أو محصولاتها، وهو أقدم أنواع

الضرائب. ومن خصائصه ما يلي:

⁴⁶ ينظر، الأموال في دولة الخلافة الإسلامية، عبد القيوم زلوم، دار الأمة، بيروت، ط3، 2004م، ص35.

⁴⁷ المرجع نفسه، ص57-60.

1/ الخراج مورد من موارد الدولة.

2/ الخراج ضريبة سنوية تجيء مرة في السنة.

3/ الخراج ضريبة إقليمية.

4/ الخراج ضريبة صغار تفرض على الذمي صغاراً له، وهي ضريبة أرض وعامة⁴⁸.

❖ الفرق بين الجزية والخراج:

1. الجزية نص والخراج اجتهاد.

2. أقل الجزية مقدر بالشرع وأكثرها مقدر بالاجتهاد والخراج مقدر بالاجتهاد.

3. الجزية تؤخذ مع بقاء الكفر وتسقط بحدوث الإسلام، بينما الخراج يؤخذ مع الكفر والإسلام⁴⁹.

5. الغنيمة: ما يكسبه المسلمون بالقتال، وتشمل أربعة أقسام: أسرى، وسبي، وأموال، وأراضي⁵⁰.

قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ

وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: 41].

⁴⁸ ينظر، الأموال في دولة الخلافة الإسلامية، عبد القيوم زلوم، ص 40.

⁴⁹ ينظر، الأحكام السلطانية، الماوردي، ص 133-134.

⁵⁰ ينظر، الأموال في دولة الخلافة الإسلامية، عبد القيوم زلوم، ص 31.

6. العشور: ضريبة تفرض على أموال التجارة الصادرة من بلاد الإسلامية والواردة إليها. وقد عرفها العرب

المسلمون بعد الفتوحات في الشام، إذ كتب أبو موسى الأشعري إلى الخليفة عمر يخبره أنّ السلطات في الشام كانت تأخذ من التجار العشر قبل الفتح الإسلامي، وكانوا يأخذون من التجار المسلمين نفس القدر، فكتب له الخليفة بأن يأخذ منهم كما كانوا يأخذون من تجار المسلمين، وأن يأخذ من تجار أهل الذمة نصف العشر ومن المسلمين 25% وجعل حد الإعفاء 200 درهم.

وعلى هذا درجت نظم الخلافة من عهد عمر فأقيم "العشر" أو الذي يأخذ ضريبة العشور عند ممر التجار يجبي هذه الضريبة من الصادرات والواردات، يأخذ من التاجر المسلم ربع العشر ومن التاجر الذمي نصف العشر، ومن الأجنبي العشر أو كما يعامل قومه التجار المسلمين، فإن كانوا يأخذون منهم العشر أخذوا منه نفس المقدار، وهكذا...⁵¹

ثانيا: النظام العسكري (الجيش، الأسطول):

1_ الجيش:

في عهد النبي ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين كان جميع المسلمين القادرين على القتال أفرادا في الجيش، فكان إذا دعي للجهاد خرج كل قادر على حمل السلاح، وقد يصحب الجيش بعض النساء المؤمنات لخدمة الجند أو تمريضهم وربما لحمل السلاح إذا لزم الأمر، وكان لكل حملة أو معركة أمير ونائب له.

⁵¹ ينظر، الحرية الاقتصادية في الإسلام، دار الوفاء، القاهرة، 1988م، ص185.

وكان أول من سجل أسماء الجند عمر بن الخطاب، وقد حدد أعطياتهم أو مرتباتهم في ديوان خاص بهم، فقد قال السيوطي: "وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه دون الدواوين، وكان أول من دَوَّن ديوان العطاء وديوان الجند، فجعل للناس أعطياتهم على قدر سوابقهم في الإسلام وبلائهم في الجهاد، وكتب أسماءهم في الديوان، ورَّتب أرزاقهم، فجعل لأهل بدر أعظم العطاء، ثم لمن بعدهم"⁵².

• أقسام الجيش الإسلامي من حيث التسليح:

ينقسم الجيش الإسلامي إلى عدة أقسام، وهي:

1/ الفرسان (الخيالة).

2/ المشاة (الرجالة).

3/ الحرص الخاص.

4/ الغلمان.

5/ النشابون أو الرماة (حملة الأقواس).

6/ النفاطون.

7/ المنجنيقيون (رماة المنجنيق).

⁵² تاريخ الخلفاء، جلال السيوطي، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، 1964م، ص135.

8/ العيارون.

9/ العيون⁵³.

2_ الأسطول:

لم تظهر حاجة المسلمين للبحر في عهد الرسول ﷺ وعهد الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ولكن عند اتساع الفتوحات الإسلامية أصبحت الحاجة لركوب البحر موجودة لدى الجيوش الإسلامية، غير أن الخليفة عمر بن الخطاب كان يمانع ذلك ويعتبرها جزءاً من المغامرة بل ويعاقب من يخالفه من الولاة بالعزل أو التوبيخ.

وأما في عهد الخليفة عثمان بن عفان فقد ظهرت المطالب بضرورة خوض البحر من والي الشام معاوية بن أبي سفيان ووالي مصر عبد الله بن أبي السرح، فوافق الخليفة لوقف سيطرة الروم على البحر، فقامت المدن البحرية بإعداد السفن في مصر والشام، وحدثت أول معركة بحرية في بحر الروم.

وعليه فإنّ أول من اقترح بناء أسطول بحري إسلامي كان معاوية بن أبي سفيان والي بلاد الشام على الخليفة عمر بن الخطاب، ولكن لم يتم بناء أسطول عسكري إسلامي إلا في عهد الخليفة عثمان بن عفان، فكانت

⁵³ النظم الإسلامية، عبد العزيز الدوري، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2008م، ص118.

نواة هذا الأسطول من السفن التي وجدوها في موانئ الشام ومصر، ثم انطلقوا إلى صناعة السفن في دور الصناعة، وهكذا دخل السلاح البحري في الاستراتيجية الإسلامية لأول مرة في تاريخ المسلمين⁵⁴.

سؤال: اشرح هذه المصطلحات مع ذكر الأدلة الشرعية عليها: الزكاة، الفبيء، الجزية، الخراج، الغنينة، العشور.

الملحق 5: راية الجيش الإسلامي



⁵⁴ ينظر، تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص151.

المحاضرة السابعة: مظاهر الحضارة الإسلامية (الحياة الاقتصادية والاجتماعية)

تميزت الحضارة الإسلامية بتكامل مظاهرها الاقتصادية والاجتماعية، إذ جمعت بين القيم الروحية والتنظيم العملي للحياة. فقد قامت الحياة الاقتصادية على مبادئ العدل والتكافل وتحريم الاحتكار والربا وتطوير الوقف والاستثمار، فشملت أنشطة متعددة كالزراعة والصناعة والتجارة، مما أسهم في ازدهار المدن الإسلامية واتساع مواردها. وأما الحياة الاجتماعية فقد بُنيت على وحدة الأمة والتعاون بين أفرادها والتعايش السلمي بين كافة أطراف المجتمع، مع عناية خاصة بالمرأة والأسرة وأهل الذمة والفقراء والمحتاجين، فكانت مثلاً للتوازن بين المادة والروح في بناء مجتمع متماسك تسوده العدالة والرحمة.

أولاً: الحياة الاقتصادية

1/ تعريب النقود:

على نهج الإسلام من الإفادة من الحضارات السابقة تعامل الرسول ﷺ مع العملة، فمع ظهور الإسلام أقر الرسول ﷺ النقود على ما كانت عليه، وفرض الرسول ﷺ زكاة الأموال بهذه النقود السائدة، وعمل الخليفة أبو بكر بسنته، ولما استخلف عمر بن الخطاب وفتح الله على المسلمين بلاد الفرس أقر النقود الساسانية في إيران والعراق كما هي بلغتها وحروفها وشعاراتها.

ونظراً لاتساع دائرة العالم الإسلامي، ولوجود الحاجة لنقود كثيرة، ولوجود شعارات تخالف العقيدة الإسلامية على هذه النقود، كان لابد من إنشاء دور لسك العملة خاصة بهم، حاملة لشعارات الإسلام.

ويقول ابن خلدون في مقدمته معرفا السكة بأنها: "الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع من حديد تنقش فيه الصور أو الكلمات المطلوبة بطريقة خاصة"⁵⁵.

وفي العصر الأموي استطاع عبد الملك أن يحقق نجاحا كبيرا في تعريب النقود، فتم التعريب الكامل للنقود سنة 77هـ، وسار الخلفاء الأمويون على خطى عبد الملك في سك الدنانير العربية الإسلامية.

وفي مصر ضربت أول نقود إسلامية في عهد الدولة الطولونية، بعد أن أسس أحمد بن طولون عام 257 هـ دارا لضرب النقود والدنانير.

الملحق 6: سك النقود بشعارات إسلامية



ولقد ازدهرت الحياة الاقتصادية ولا سيما التجارة في ظل الدولة العربية الإسلامية بصورها وأشكالها كافة، وذلك بفضل انتشار الأمن، وإنشاء الطرق التجارية، وتشجيع التبادل التجاري.

⁵⁵ ينظر، المقدمة، ابن خلدون، ص25.

كما ازدهرت الزراعة وتنوعت المحاصيل لتلبي حاجات وأذواق الناس، إلى جانب ذلك كانت هناك الموارد الاقتصادية الشرعية، وعلى رأسها الزكاة، والخراج، والجزية، والغنائم، وكذلك الفبيء، والعشور.

2/ الوقف:

أ/ نشأة الوقف الإسلامي وتطوره:

-تعريف الوقف: هو حبس الأصل وتسبيل الثمرة⁵⁶.

وكان الرسول ﷺ أول من ضرب المثل الأعلى لأئمة في الوقف، فأوقف سبعة بساتين⁵⁷.

وعند نزول قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾

[آل عمران:92]. قال أبو طلحة الأنصاري: يا رسول الله، إن أحب أموالي إلي بئر حاء وهي بئر طيبة

الماء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله تبارك وتعالى، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال

رسول الله عليه الصلاة والسلام: "بخ بخ، ذلك مال رابح، حبس الأصل وسبل الثمرة"⁵⁸.

فكانت هذه الصدقة أول وقف في الإسلام قام به الصحابة. وكان الوقف هو حجر الأساس الذي قامت

عليه كل المؤسسات الخيرية في تاريخ حضارتنا.

⁵⁶ ينظر، موسوعة الفقه الإسلامي، حمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية: السعودية، ط1، 2009م، ج3، ص684.

⁵⁷ ينظر، صحيح البخاري، البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الوقف، حديث رقم 2737.

⁵⁸ ينظر، المرجع نفسه، حديث رقم 1461.

ثم أوقف عمر بن الخطاب أرضه بخير، وأوقف أبو بكر وعثمان وعلي والزبير ومعاذ وغيرهم، حتى لم يبق صحابي إلا أوقف من أمواله شيئاً⁵⁹.

- أمثلة عن الوقف في التاريخ الإسلامي:

ومن ذلك:

- الوقف الذي قامت به زبيدة زوجة هارون الرشيد إذ بنت بئرا في مكة.
- الوقف للحيوان، والمدارس، والزوايا، وهناك مشاريع وقفية لعبور السبيل، بيوت خاصة بالفقراء يسكنها من لا يجد بيتا.

- وقف للمقعدين والعجزة.

- مؤسسات تزويج الشباب...⁶⁰

ب/ أنواع المؤسسات الخيرية:

هناك نوعان من المؤسسات الخيرية التي حظيت بالوقف:

- نوع تنشئه الدولة وتوقف عليه الأوقاف الواسعة.

⁵⁹ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص108.

⁶⁰ ينظر، المرجع نفسه، ص109-110.

- نوع ينشئه الأفراد من أمراء وأغنياء.

ومن أهم المؤسسات الخيرية نجد المساجد، المدارس، والمستشفيات، والخانات والفنادق والزوايا.

ومن أهم المؤسسات والمشاريع الاجتماعية نجد إصلاح الطرقات والقناطر والجسور والمقابر⁶¹.

ج/ أثره الحضاري:

كانت مؤسسة الوقف الإسلامي من أكبر الأبواب التي لجأت الأمة إليها، لتحقيق من خلالها فروض الكفاية الاجتماعية والثقافية. فكان الوقف بأشكاله المختلفة من أبرز الطرق التي قادت النهضة الفكرية والاجتماعية على مدار العصور، وأسهم الواقفون، من أثرياء وحكام ووزراء، في مساندة القضايا الاجتماعية والحركة العلمية، وأتاحوا المعرفة والتربية لكافة أبناء المجتمع⁶².

ثانيا: الحياة الاجتماعية

1/ الطبقات الاجتماعية في الإسلام:

إن الإسلام لا يعرف نظام الطبقات المغلقة كما هو الحال في بعض المجتمعات الأخرى، بل يقوم على مبدأ المساواة بين الناس في الكرامة الإنسانية والحقوق الدينية، فالناس سواسية كأسنان المشط. ومع ذلك، فإنّ

⁶¹ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص 109.

⁶² ينظر، المرجع نفسه، ص 110-111.

الإسلام يقرّ بوجود اختلافات طبيعية واجتماعية قائمة على المهن والمسؤوليات، وهو ما أدى إلى ظهور طبقات اجتماعية غير مغلقة، تختلف في الوظائف والمهام ولكن لا تختلف في الحقوق الدينية الأساسية.

ففي المجتمعات الإسلامية، نجد الطبقة الخاصة التي تضم الحاكم (ال خليفة) ورجال الدولة من وزراء وولاة وقضاة وأصحاب المناصب العليا، وهي طبقة مكلفة بمسؤوليات القيادة والإدارة، وتقوم بالحفاظ على الأمن والنظام العام، وضمان تطبيق الشريعة وتحقيق مصالح الرعية. ورغم أنّ هذه الطبقة تعيش حياة ميسورة نسبياً نتيجة لمهامها القيادية، فإنّ الإسلام لم يجعلها متفوقة على بقية الناس من حيث القيمة الإنسانية، بل فرض عليها مسؤوليات كبيرة تجاه المجتمع، بما في ذلك الإنفاق في سبيل الله ورعاية مصالح الفقراء والمحتاجين. وأما الطبقات العامة، فهم بقية أفراد المجتمع من سكان المدن والقرى، ويشملون أصحاب المهن الراقية كالكتاب والقضاة والمعلمين، وأصحاب المهن المتوسطة والدنيا، وكذلك التجار والمزارعين والفلاحين.

وقد كان الإسلام يشجع كل فرد على القيام بدوره في المجتمع بما يحقق الصالح العام، واعتبر العمل الشريف عبادة إذا أقيم وفق المبادئ الشرعية. ولقد لعبت هذه الطبقات العامة دوراً محورياً في دفع عجلة الحضارة العربية والإسلامية نحو التقدم، فقد قامت النهضة الزراعية والصناعية والتجارية والعلمية على جهودهم ومهاراتهم. فالمزارع والفلاح أسهم في الأمن الغذائي وتطوير الأساليب الزراعية، والتاجر ساهم في ازدهار

الأسواق ونقل السلع والثقافات، وأهل الحرف والصناعة دعموا النهضة الاقتصادية والبناء المعماري، فيما ساهم العلماء والمثقفون في حفظ المعرفة ونقلها وتطوير العلوم⁶³.

ومن هذا المنطلق، يظهر التنظيم الإسلامي للطبقات الاجتماعية والذي لا يقوم على التمييز العنصري أو الوراثي أو الطبقي، بل على توزيع المسؤوليات والوظائف بما يحقق العدالة والمصلحة العامة، ويضمن مشاركة جميع أفراد المجتمع في بناء حضارة متكاملة ومتقدمة، مع الحفاظ على حقوق كل فرد وكرامته الإنسانية.

2/ المرأة في المجتمع الإسلامي:

كانت المرأة عنصرًا فاعلاً ومؤثرًا في المجتمع الإسلامي منذ نشأته، حيث منحها الإسلام حقوقها واعتبرها شريكًا في بناء المجتمع وممارسة الحياة العامة ضمن إطارها الشرعي. وتحفل كتب أعلام النساء والسير والتراجم بالعديد من الشخصيات النسائية اللواتي برزن في مختلف ميادين العلوم والمعارف، مثل الطب والفقه والأدب والتاريخ، فضلاً عن مشاركتهن في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية. ولقد أبدعت هؤلاء النساء وأسهمن في نشر الثقافة والمعرفة، ما جعلهن جزءاً لا يتجزأ من النهضة الحضارية الإسلامية، وأثبتن أن دور المرأة في الإسلام كان قوياً ومتنوعاً، قائماً على القدرات والكفاءات وليس على القيود الاجتماعية الموروثة⁶⁴.

⁶³ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص 101-103.

⁶⁴ ينظر، المرأة في الحضارة الإسلامية بين نصوص الشرع وتراث الفقه والواقع المعيش، علي جمعة، القاهرة، دار السلام، ط3، 2024م، المقدمة.

من أبرز النماذج والقديوات للمرأة المسلمة في التاريخ الإسلامي:

- خديجة بنت خويلد إذ كانت مثالا عن المرأة العاملة في التجارة العالمية.
- أسماء بنت أبي بكر الصديق (ذات النطاقين) كانت مثالا عن نساء المهمات الصعبة.
- صفية المجاهدة والمقاتلة والتي كانت بألف رجل، وجميع أولادها المقاتلين.
- أم عمار (سلمة) والتي نزل في حقها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...﴾ [الأحزاب: 35] تطيبا لخاطرها.
- خولة بنت ثعلبة وقصة شكواها إلى الله ورسوله (في قصة ظهار زوجها ونزول بداية سورة المجادلة).
- رفيدة الأسلمية أول ممرضة في الإسلام.
- خولة بنت الأزور التي كانت على قدر كبير من الشجاعة والقتال والاستبسال والجمال⁶⁵.

⁶⁵ ينظر، المرأة في الحضارة الإسلامية بين نصوص الشرع وتراث الفقه والواقع المعيش، علي جمعة.

الملحق 7: نماذج من إسهامات العالمات المسلمات في الحضارة



3/ أهل الذمة في الإسلام:

المقصود بأهل الذمة: اليهود والنصارى الذين يعيشون مع المسلمين في ظل الحكم الإسلامي، وإنما أطلق عليهم لقب أهل الذمة؛ لأنّ النَّبِيَّ ﷺ أعطاهم ذمته وأمانته. وقد أوصى سيدنا رسول الله ﷺ بأهل الذمة، ونهى ﷺ عن التعرض لهم فقال: "لهم ما لنا وعليهم ما علينا، ومن آذى ذميا كنت خصمه يوم القيامة". وقد كان أهل الذمة أحرارا في إقامة شعائر دينهم، وكانوا يرجعون في أحوالهم الشخصية إلى رؤسائهم الدينيين. ومن مسلمات الإسلام التي نص عليها الوحي -قرآنا وسنة-: أنّ العقيدة لا يمكن الإكراه عليها، بل لا بد فيها من الاقتناع والرضا⁶⁶.

- من مظاهر التسامح الديني في الحضارة الإسلامية:

- تجاور المساجد الكنائس في ظل حضارتنا الخالدة.
- كانت الوظائف تعطى للمستحق الكفاء، بغض النظر عن عقيدته ومذهبه.
- وجود الحلقات العلمية في حضرة الخلفاء والأمراء، والتي تجمع بين مختلف العلماء على اختلاف أديانهم ومذاهبهم.
- الاشتراك في الأعياد الدينية، بمباهجها وزينتها.

⁶⁶ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص104.

- لم تكن الجزية بالقدر الذي يدفع الإنسان إلى تغيير دينه، ولم تكن تفرض إلا على القادرين على دفعها، وكان يعفى منها النساء والأطفال والشيخ والرهبان.
- إعفاء بني تغلب -من النصارى- من الجزية نظير اشتراكهم في الحرب مع المسلمين.
- وجد عمر بن الخطاب ذميا يسأل الناس الصدقة، فأسقط عنه الجزية، وفرض له من بيت المال ما يكفيه⁶⁷.

أسئلة:

- اذكر أمثلة عن الأوقاف في التاريخ الإسلامي، وبيّن كيف أسهمت في ازدهار الحضارة الإسلامية، وما مدى استفادة الحضارة الغربية من هذا النظام؟
- حلّل دور المرأة في الحضارة الإسلامية مع تقديم أمثلة واقعية لنساء برزن في مختلف مجالات العلم والدين والأدب.
- ناقش مظاهر التسامح الديني في الحضارة الإسلامية، مع توضيح كيفية تعامل الدولة الإسلامية مع أتباع الديانات المختلفة في بعض المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

⁶⁷ ينظر، المرجع السابق، ص 105-107.

المحاضرة الثامنة: مظاهر الحضارة الإسلامية (الحياة العلمية)

ازدهرت الحياة العلمية في الحضارة الإسلامية ازدهاراً كبيراً، إذ كانت ثمرة تفاعل الإيمان بالعقل مع روح البحث والمعرفة التي شجّع عليها الإسلام. فقد اعتبر المسلمون طلب العلم عبادةً وسبيلاً لعمارة الأرض وخدمة الإنسانية، فأنشأوا المساجد والمدارس والمكتبات ودور الحكمة، وبرز منهم علماء في مختلف الميادين كالفقه واللغة والطب والفلك والرياضيات والفلسفة. كما أسهمت حركة الترجمة في نقل تراث الأمم السابقة، ولا سيما اليونانية والفارسية والهندية، إلى العربية، فكانت منطلقاً للإبداع العلمي والتأليف الأصيل، مما جعل الحضارة الإسلامية منارةً للعلم والمعرفة أضاءت طريق البشرية قروناً طويلة.

بداية الحركة العلمية وتطورها:

شجع الإسلام على طلب العلم حين رفع قدر العلماء والعلم، وأقسم الله تعالى بالعلم وأدواته. وقد انتشر العلم مع انتشار الإسلام بين العرب، وقد حثّ النبي ﷺ بعض أصحابه على تعلم لغة من لا يأمن شرهم، عندما دعت الحاجة إلى ذلك.

وقد كثرت القراءة والكتابة بين العرب بصورة ملحوظة في عهد الصحابة والتابعين. وتعلم المسلمون -غير العرب- اللغة العربية، فازدهر مجال تعلم القراءة والكتابة والترجمة فيما بعد⁶⁸.

⁶⁸ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص 115.

1_ بداية الحركة العلمية:

في مكة: عندما فتح الرسول ﷺ خلف فيها معاذ بن جبل يفقه أهلها ويعلمهم الحلال والحرام يقرؤهم القرآن، وقد شارك معاذًا في تعليم أهل مكة الصحابي الجليل عبد الله بن عباس.

في المدينة: تصدر للعلم والتعليم فيها عمر وعلي بن أبي طالب، ولكن زيد بن ثابت كان الأكثر تفرغًا للعلم، وتبعه عبد الله بن عمر بن الخطاب.

في الكوفة: أشهرهم الإمام علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود الذي كان أكثر تفرغًا لمجال العلم والتعليم.

وقد خلفه تلامذته، علقمة، والأسود، ومسروق، وعبيدة، والحارث بن قيس، وعمرو بن شرحبيل.

في البصرة: نزل بها عدد كبير من الصحابة، أشهرهم: أبو موسى الأشعري، وأنس بن مالك.

في الشام: بعث إليهم عمر بن الخطاب مجموعة من الصحابة الأخيار، فأرسل معاذًا وعبادة بن الصامت وأبا الدرداء، فكان هؤلاء أول مؤسسي المدرسة الدينية بالشام.

في مصر: نزل فيها من علماء الصحابة فعلموا بها، وأشهرهم: عبد الله بن عمرو بن العاص، ثم الليث بن

سعد -فقيه مصر-، والإمام الشافعي...⁶⁹

⁶⁹ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص 117-118.

2_ التعليم في العصرين الأموي والعباسي:

أ/ التعليم في العصر الأموي:

وقع في هذا العصر تفاعل حضاري كبير مع أهل الثقافات والعلوم والمراكز العلمية في البلاد المفتوحة، فنتج عنه تبادل بين المسلمين وهؤلاء العلماء مما أدى ذلك إلى إثراء المعارف الثقافية والعلمية، فبدأ المسلمون في ترجمة العلوم التي عند الآخرين.

فعند دخول بلاد الروم وبلاد فارس وغيرها في الإسلام -وهي أمم حضارات- دعت الحاجة إلى تدوين العلوم التي عندهم وترجمتها.

وقد أدى تطور العلوم وتشعبها إلى تقسيم العلوم إلى قسمين:

1. العلوم النقلية -العلوم الشرعية-: كعلم الحديث والتفسير والفقه واللغة والنحو وغيرها.

2. علوم المعاش -العلوم العقلية أو علوم الأوائل-: وتشمل علم التاريخ والجغرافيا والرياضيات والفلك والأرصاد والنبات والكيمياء وغيرها⁷⁰.

ب/ التعليم في العصر العباسي:

انتقل التعليم في العصر العباسي نقلة نوعية وكمية معاً، فأصبح بحق عصر التخصص والترجمة والإبداع.

⁷⁰ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص 120.

وبدأت في العصر العباسي تتشكل مدارس لكل العلوم، وفي جميع أراضي المسلمين، واستقلت بنفسها بعد أن اتسعت دوائرها، ولهذا أنشأت المدارس، والجامعات، ومجالس العلم، والمكتبات⁷¹.

وظل الاجتهاد والإبداع قائما حتى صحّ فيها قول ويل ديورانت صاحب "موسوعة قصة الحضارة": "لقد كانت الحضارة العالمية الأولى، والوحيدة والمهيمنة خلال أكثر من عشرة قرون"⁷².

3 حركة الترجمة:

ازدهرت حركة الترجمة في العصر العباسي، فقد عهد أمراؤها إلى المترجمين ليهتموا في القرنين الثاني والثالث للهجرة بنقل أهم المؤلفات اليونانية إلى العربية، والتوفيق بينها وبين متطلبات الحضارة الفكرية الإسلامية، كالطب والفلك والجغرافيا والكيمياء والفيزياء.

وبعد أن قدّم العلماء المسلمون أفضل ما عندهم بكل صدق وأمانة علمية وأفادوا البشرية، جاءت الترجمة العكسية فيما بعد لتنهل من تراث المسلمين وعلومهم، ومن ذلك مثلا: كتاب "القانون في الطب" لابن سينا، فقد كان عمدة الطب وأساسا لتقسيمه عند العلماء في الغرب، وبقي طوال خمسمائة سنة النص المعتمد عليه في كليات الطب الأوروبية.

⁷¹ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص 120-121.

⁷² التربية والتعليم في الفكر الإسلامي، أحمد شلبي، ص 109-111.

وأما في الرياضيات: فأوروبا مدينةٌ لأشهر أعلامه من المسلمين وهو: الخوارزمي، مبتكر علم الجبر، وناشر الأرقام الهندسية التي تدعى في الغرب بالأرقام العربية إلى اليوم.

وأما في علم الطبيعيات: فقد دُرّس كتاب ابن الهيثم المعنون بـ: "كتاب المناظر" في مدارس أوروبا حتى القرن السابع عشر⁷³.

- أهمية حركة الترجمة:

حفظ العرب تراثًا ضخماً من العلم، وقد دفعت الترجمة إلى ظهور حركة التأليف في بعض المعارف، بل وقد قام العرب بتطوير الاتجاه العلمي الصحيح، بما أضافوه وابتكروه من وسائل ومعارف وعلوم جديدة لم تكن معروفة من قبل. وكان لهذا النشاط الإسلامي الإبداعي الدؤوب الذي امتص خلاصة الحضارات السابقة أثره في بروز العصر الذهبي للحضارة الإسلامية في الفترة بين سنة (700م _ 1300م) / (82هـ _ 699هـ)، ولهذا سميت هذه القرون الستة بعصر النهضة الإسلامية، وكانت هذه النهضة أساس النهضة الأوروبية في مجال العلم فيما بعد⁷⁴.

أسئلة:

- بين العوامل التي ساعدت على ازدهار الحركة العلمية في الحضارة الإسلامية.

⁷³ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص 120-121.

⁷⁴ ينظر، لمحات من تاريخ الحضارة العربية والإسلامية، علي عبد الله الدفاع، مصر، مكتبة الخانجي، ص 117-121.

- كيف أسهمت حركة الترجمة في تعزيز النهضة العلمية في الحضارة الإسلامية؟ وما تأثيرها على تأسيس وتطوير المدارس العلمية مثل بيت الحكمة في بغداد؟

- استخلص من مظاهر الحركة العلمية في الحضارة الإسلامية ما يمكن الاستفادة منه في نهضة الأمة اليوم.

الملحق 8: الحركة العلمية في الحضارة الإسلامية



المحاضرة التاسعة: إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية (الأدب والفنون)

قدّم المسلمون إسهامات عظيمة في مجال الأدب والفنون أسهمت في ثراء الحضارة الإنسانية وإبراز الوجه الجمالي للفكر الإسلامي. فقد تطوّر الأدب العربي في ظل الحضارة الإسلامية تطوراً ملحوظاً، وازدهرت فنونه من شعر ونثر وخطابة ومقامات، فعبرت عن قيم الأمة ومبادئها بلغة بليغة راقية. وأمّا الفنون الإسلامية، فقد تميّزت بروحها الإبداعية الجمالية، فازدهرت العمارة والزخرفة والخط العربي وكل الفنون العربية الإسلامية، وتركت بصمتها في الفنون العالمية وأسهمت في إثراء التراث الإنساني العام بمختلف مجالاته.

أولاً: أثر الأدب العربي في الأدب الأوروبي

نبغ العرب في الآداب -نثراً وشعراً- من خلال أصالة اللغة العربية، التي أصبحت لغة الثقافة والأدب الأولى في عالم العصور الوسطى، ويعود هذا التأثير الغربي بالأدب العربي لقوة هذا الأخير من جهة، في مقابل ضعف الأدب الغربي وركاكته وافتقاره إلى كثير من المفردات من جهة أخرى.

وقد كان العرب أرباب الفصاحة والبلاغة، ونزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، فكان أفصح وأبلغ كلام سمعته العرب، وقد أيقنوا بأنهم مهما وصلت إليه قدرتهم من الفصاحة والبلاغة لن يصلوا إلى الإتيان بحديث مما يسمعون من القرآن الكريم⁷⁵.

⁷⁵ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص131.

ظهر في الأدب الأوروبي أثر واضح للأدب العربي، خاصة في شعر التروبادور⁷⁶ الذي يُرجَّح أنه تأثر بالشعر الأندلسي الرقيق في الموشحات والأزجال، لما يتميز به من صدق التعبير عن العاطفة والوجدان. وقد انتقل هذا التأثير عبر المسيحيين الإسبان الذين استعربوا وأسهموا في نقل الثقافة العربية إلى أوروبا. ويؤكد الباحثون أن غزل الفروسية الأوروبي استلهم أشعار التروبادور المتأثرة بابن قزمان، حتى إن بعضهم يرى أن لفظ "تروبادور" أصله تحريف لعبارة عربية هي "دور طرب". لا سيما وأنّ لغة بروفانس شأنها شأن اللغات الأوروبية تقدم الصفة على الموصوف، والمضاف إليه على المضاف، فقالوا: (طرب دور) التي حرفت إلى تروبادور⁷⁷.

بالإضافة إلى تأثير آخر ظهر في الحقبة الأخيرة من العصور الوسطى، وهو: العناية بالقافية، في حين أن الشعر الأوروبي الكلاسيكي لم يكن يهتم بالقافية، بخلاف الوضع في الشعر العربي الذي يعتبرها ركنا من أهم أركانه، وهذه الظاهرة جعلتهم يظنون أنّ القافية جاءت من أوروبا، وهم بالأساس لم يعيروها أي اهتمام. وأما في الجانب النثري فنلاحظ تأثير الأدب العربي في الأدب الغربي كذلك، وهذا ما يظهر جليا من خلال القصص الخرافية والأساطير ذات المعنى الأخلاقي في العالم الغربي، وإن كان هذا النوع شرقي بامتياز، فقد عرفه العرب قبل أن يظهر في الغرب بقرون طويلة⁷⁸.

⁷⁶ هو عبارة عن شعر الأزجال والموشحات التي يتغنى بها.

⁷⁷ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص131.

⁷⁸ المرجع نفسه، ص132.

نماذج من تأثير الأدب العربي في الأدب الأوروبي:

1_ ابن المقفع⁷⁹:

لا يمكن إنكار أثر كتاب "كليلة ودمنة"⁸⁰ الذي ترجمه ابن المقفع عام 707م من البهلوية إلى العربية، وقد ترجم هذا الكتاب إلى عدة لغات. وقد أصبح هذا الكتاب "كليلة ودمنة" أساساً لما كتب بعد ذلك من قصص في الشرق والغرب؛ تقال على ألسنة الحيوانات والطيور في أكثر من أربعين لغة، اشتمل هذا الكتاب على حكم وأمثال تقال على ألسنة الطير والحيوان⁸¹.

وهذا ما يوضح تأثير الأدب العربي في الأدب الأوروبي من خلال القصص الخرافية ذات الطابع الأخلاقي، ولا سيما مثل قصص: كليلة ودمنة، وقصص "ألف ليلة وليلة" التي ترجمت إلى أكثر من ثلاثمائة مرة بمختلف اللغات الغربية.

2_ ابن طفيل (الأديب المسلم العالمي):

⁷⁹ وُلِدَ عبد الله بن المقفع حوالي سنة 721م بمدينة "جور" الفارسية، وكان اسمه الأصلي "روزبة". لُقِّبَ أبوه بالمقفع بعد أن عاقبه الحجاج بن يوسف على اختلاس الأموال. تميز ابن المقفع بثقافة واسعة في الفارسية والهندية واليونانية مع بلاغة عربية عالية، فعمل كاتباً في الدواوين الأموية ثم العباسية لدى عيسى بن علي، الذي أسلم على يده، وقُتِلَ بسببه سنة 756م. ينظر، عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، بيروت، دار العلم للملايين، 1984م، ج1، ص430.

⁸⁰ "كليلة ودمنة" مجموعة حكايات على ألسنة الحيوانات يرويها الملك دبشليم، عرض فيها ابن المقفع آراءه السياسية في أسس الحكم الصالح. ورغم شيوع القول بأنها ترجمة فارسية لأصل هندي، فإن دراسات حديثة ترجّح أنها من تأليف ابن المقفع نفسه. ينظر، المرجع نفسه، ج1، ص430.

⁸¹ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص134.

الأديب الفيلسوف والطبيب الشاعر الأندلسي أبو بكر محمد بن عبد الملك المعروف بابن طفيل (ت 581هـ _ 1185م). كان ابن طفيل رياضيا وفلكيا وشاعرا، شغل وظيفة كاتم السر لحاكم غرناطة، وأصبح نموذجا إسلاميا عربيا ذا أثر بالغ في الآداب العالمية، وذلك من خلال قصته الأدبية الفلسفية التي يعرف بها، وهي قصة: "حي بن يقظان". وقد ترجمت هذه القصة إلى الألمانية والإسبانية والفرنسية وغيرها. وهي قصة تريد أن تصل إلى التلاقي بين الحكمة والشريعة والفطرة، ولذلك أتى بطل القصة متمثلا في رجل منعزل لم يخضع قط لتأثير المجتمع، بل استيقظ عقله بصفة تلقائية، وصل إليها بمجهوده الخاص، وبعون من العقل إلى إدراك أسمى للأمور الميتافيزيقية الغيبية، أي: إدراك كامل أنّ للكون خالقا ومدبرا حكيما، وإلا لما انتظم الكون بهذه الدقة والاستمرارية.

وهناك كتب أخرى لقيت شهرة واسعة ككتاب "السندباد"، الذي ترجم إلى اللغة القشتالية. وعليه فقد بات جليا تأثر الأدب الغربي بالأدب العربي، وهذا ما يتضح أيضا من قصة "دون كيشوت" لسرفانتيس، والتي تعد من خير ما أنتجته العقلية الأوروبية في ميدان الأدب⁸².

سؤال: ما الفكرة الفلسفية الرئيسة التي أراد ابن طفيل إيصالها من خلال روايته "حي بن يقظان"، وكيف عبّر عن خلالها عن العلاقة بين العقل والوحي في إدراك الحقيقة؟

⁸² ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص 135-136.

ثانيا: الفنون في الحضارة الإسلامية

يختلف مفهوم الفن الإسلامي عن مفهوم الفنون الحديثة التي تهتم بالصور المجسمة فحسب، فالفن الإسلامي توحيدي، يستشف أصوله من الإسلام ذاته، ويستقي مادته من الكون الرحيب؛ فلا يعترف بالأهواء ولا بالمسميات المستحدثة الغامضة، ولهذا فالفن الإسلامي يتميز بعدد من القيم الجمالية التي تعطيه تفردا وخصوصية تجلّت في عدة مظاهر منها:

1_ مبدأ التكرار.

2_ مبدأ التجريد.

3_ مبدأ الوحدة والتنوع.

4_ مبدأ استخدام اللون.

5_ مبدأ استخدام النسبة والتناسب⁸³.

نماذج من الفن الإسلامي خلال عصور الحضارة الإسلامية:

اهتم المسلمون بالمصحف الشريف أيما اهتمام، وهذا كان من أهم الأسباب التي أدت إلى ازدهار عدد من الفنون الإسلامية، ومن ذلك مثلا:

1_ تطور الكتابة ووسائلها وأدواتها، وزخرفة الخط العربي وتطوره، والزخرفة الجانبية، وفت التجليد والتغليف.

2_ فن تجليد الكتب والمحافظة عليها، وهو من الفنون التي نمت بفضل الحرص على المصحف الشريف، مما حدا بالأوروبيين إلى تقليده.

⁸³ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص 167-168.

3_ الإبداع في مهارات التجليد الإسلامي، فقد برع فيها المسلمون ونقلها عنهم الأوربيون، ومثال ذلك "لسان الغلاف" الذي يستعمل لحفظ الأطراف الخارجية.

4_ استخدمت أيضا أساليب أخرى فنية للارتقاء بشكل المصحف، من ترصيع وتذهيب، وتلوين، وضغط، وتخريم، وطبع، وغير ذلك.

5_ استخدم فن التذهيب لتعيين مواضع التقسيمات، مثل فواصل الآيات، وبداية السور، والأحزاب وإلى غير ذلك⁸⁴.

الملحق 9: نموذج عن فن التذهيب



وأما في العصر الأموي فقد أخذت معالم الفن الإسلامي تتطور من جيل إلى جيل، فبدأت العمارة الإسلامية تتأثر بفنون الأمم السابقة، وظهر فن تخطيط المدن وتعميرها في العصر الأموي. فظهرت الفنون الزخرفية، واتضحت معالم هذا الفن في القصور الأموية⁸⁵.

وأما في مجال الملابس وصناعة النسيج فقد ظهرت من خلال مصانع عرفت باسم الطراز، وكان الطرز من الكتان أو الحرير أو الصوف. كما نجح الصانع في صناعة السيوف، مع إمكانية التشكيل عليها بمختلف الأدوات. وابتكر صناع الزجاج العرب نماذج جديدة للأواني المستخدمة...

⁸⁴ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص 167-169.

⁸⁵ المرجع نفسه، ص 172.

ومن المؤكد أنّ المسلمين قد استفادوا في كل ذلك من مختلف الحضارات السابقة، لكن مع الأمانة في النقل، والإبداع والتطوير، وهذا ما جعل لهم خصوصية في حضارتهم، تجلّت في شكل فني إسلامي، معبرا عن عقيدة التوحيد، وعن موقف دينهم الإسلامي من الكون والإنسان والحياة⁸⁶.

سؤال: إلى أي مدى عبّر الأدب والفن في الحضارة الإسلامية عن الرؤية الإسلامية للجمال وأسهم في بناء هوية ثقافية مبدعة؟

الملحق 10: نماذج عن الفن الإسلامي وزخارفه



⁸⁶ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص 173.

المحاضرة العاشرة: إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية (الفلسفة والتاريخ والجغرافيا)

أسهم المسلمون إسهاماً بارزاً في ميادين الفلسفة والتاريخ والجغرافيا، فكان لعقولهم المبدعة دور محوري في بناء الحضارة الإنسانية. ففي الفلسفة، عملوا على التوفيق بين العقل والنقل، وشرحوا التراث اليوناني ونقدوه وأضافوا إليه، فظهر فلاسفة كبار كالكندي والفارابي وابن رشد. وفي التاريخ، أرسى المسلمون منهجاً علمياً يقوم على التوثيق والتحليل والاعتبار، كما عند ابن خلدون في مقدمته التي عدّت ثورة فكرية في علم الاجتماع التاريخي. وأما في الجغرافيا، فقد برع المسلمون في رسم الخرائط ووصف البلدان والطرق والمناخات بدقة، فمهدوا لنهضة أوروبا الجغرافية لاحقاً. وهكذا كان إسهامهم أساساً متيناً لتطور المعرفة الإنسانية عبر العصور.

أولاً: الفلسفة

1_ تعريفها: إنّ كلمة الفلسفة مشتقة من كلمة يونانية هي (فيلا سوفيا) ومعناها محب الحكمة. وهي كلمة دخيلة على اللغة العربية، مركبة من (فيلا) وتعني الإيثار، و(سوفيا) التي تعني الحكمة. والفيلسوف مشتق من الفلسفة، ومعناه المؤثر للحكمة، والفلسفة هي العلم بحقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح⁸⁷.

⁸⁷ ينظر، مدخل إلى الفلسفة، مرتضى مطهري، دار نور المصطفى، ط1، 2007م، ص100.

2_ إسهامات المسلمين في الفلسفة:

لم يعرف المسلمون هذا العلم إلاَّ بعد ظهور حركة الترجمة، وقد مَهَّد لذلك وجود كتب فلاسفة اليونان المنتشرة في مناطق البحر المتوسط بين الإسكندرية وأنطاكية وحرَّان، فوجَّه المسلمون جانباً من عنايتهم للفلسفة اليونانية في المشرق العربي أو المغرب والأندلس، وعَبَّروا عن إعجابهم الشديد بها، ولم يكتف المسلمون بالترجمة والنقل فقط، بل إنَّ المتأمل المنصف الذي يقف على تراث المسلمين يكتشف أنَّ لهم ابتكارات كثيرة تكشف عن أصالتهم في هذا العلم، حيث أسهموا في تطويره إسهاماً فعالاً، وفنَّدوا الكثير مما في كتب اليونان من معلومات، وصحَّحوا ما فيها من أخطاء، وربطوا ما جاء في أطرافها من معلومات متناثرة، وكتبوا شروحات وافية على تلك الكتب، وأضافوا إليها الكثير من المعلومات الجديدة التي توصلوا إليها ولم يعرفها غيرهم من السابقين من فلاسفة اليونان⁸⁸.

وقد جاءت الفلسفة العربية مزيجاً من الأرسطوطالية والأفلاطونية الجديدة، بفضل الجمع في الترجمة بين الإلهيات والإشراقات الروحية والحكمة الفلسفية، وهذا ما يفسر اهتمام دارسي الفلسفة العرب بالمسائل الروحية والنفسية. وكان من أشهر من أسهم في تطوير هذا العلم من الفلاسفة المسلمين:

❖ **الكندي (ت 256هـ):** هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكوفي المعروف بالكندي، من أبرز

فلاسفة المسلمين، وقد لُقِّب بفيلسوف العرب؛ لأنه استحقَّ اللقب عن جدارة، وقد بدأ متكلماً

⁸⁸ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص 137-138.

ثم معتزليا ثم سنيا. وقد بذل جهده في التوفيق بين الفلسفة اليونانية والإسلام. وألف الكندي كتباً كثيرة منها أكثر من 20 كتاباً في الفلسفة، من أهمها: "الفلسفة الأولى فيما دُونَ الطبيعيات والتوحيد"⁸⁹.

❖ الفارابي (ت 339هـ): هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرفان الفارابي، نسبة إلى ولاية (فاراب)

من بلاد الترك في بلاد ما وراء النهر، وهو من أكبر مؤسسي الفلسفة الإسلامية، وعلى يده وصلت الفلسفة الأرسطوطالية إلى أقصى ازدهار، وقد تمكن بشروحه وأفكاره وأسلوبه من تقريب الفلسفة اليونانية إلى الفكر الإسلامي. وقد ألف الكثير من الرسائل والكتب، من أشهرها: "آراء أهل المدينة الفاضلة"، "فصوص الحكم وإحصاء العلوم"، "الجمع بين رأيي الحكيمين أفلاطون وأرسطو"⁹⁰.

❖ ابن رشد (ت 595هـ): هو أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي الأندلسي، من أعظم فلاسفة

المسلمين في الأندلس، ملأ الدنيا صِيتاً وسمعةً، وكان مُلتقى حضارتي الشرق والغرب، ويعتبر من أعظم شُراح فلسفة أرسطو، ولهذا أصبح ابن رشد المعلم الأكبر. وقد اقتبس الغرب فلسفة ابن رشد بأكملها، ففتح أمام الفكر الفلسفي الأوروبي الوسيط باب البحث والمناقشة، وأصبحت فلسفته

⁸⁹ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص 139.

⁹⁰ المرجع نفسه، ص 140.

ذات سيادة مطلقة في كلية بادو بإيطاليا، وله عدة مؤلفات من أهمها: "فصل المقال فيما بين

الحكمة والشرعية من الاتصال"، "مناهج الأدلة في عقائد الملة"⁹¹.

ومن خلال ما ذكرنا نلاحظ أنّ الإسلام كان صمام أمان الحركة الفلسفية، وكما أثر فلاسفة الإسلام على الفلسفة اليونانية، فقد تأثر الغرب بالفلسفة الإسلامية، في موضوعات كثيرة نالت اهتماما في جامعاته ومعاهده، ودارت حولها أبحاث ودراسات، وعالجتها كتب ومؤلفات، ومن بين هذه المواضيع: (النفس وحقيقتها، نظرية المعرفة، مشكلة قَدَم العالم، صفات الباري، العناية الإلهية، الخير والشر، ومشكلة الوجود والماهية، وغيرها)، وهذه المواضيع السبعة من أهم ما تأثر به الغرب بالمسلمين، وترجمت للغاتهم ما ألفه المسلمون في تلك العلوم من الكتب، فاعتمدوا عليها في التدريس والتجربة في جامعاتهم.

ثانيا: إسهامات المسلمين في علم التاريخ

شهد علم التاريخ في الحضارة الإسلامية تطورا كبيرا على أيدي العلماء المسلمين الذين تجاوزوا مجرد سرد الأحداث إلى تحليلها ونقدها وربطها بالعوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية. فقد أسهموا في وضع أسس المنهج التاريخي القائم على التوثيق والتحقق من الأخبار، كما برزت مؤلفات خالدة على مر العصور والدهور.

فقد اشتهر في مدرسة السيرة والمغازي عروة بن الزبير بن العوام، وأبان بن عثمان بن عفان، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري، والوليد بن مسلم أبو العباس الأموي، وسعيد بن سعد بن عبادة الخزرجي، وسهل بن أبي خيثمة المدني الأنصاري، وشرحبيل بن سعد، ووهب بن منبه.

⁹¹ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص 143-144.

ثم ظهر بعدهم جيل من المؤرخين الذين حملوا راية تقعيد علم التاريخ واستقلاله، ومن أبرز هؤلاء: ابن بكار الضبي، والجمحي أبو عبد الله محمد بن سلام البصري، ويحيى بن معين البغدادي، والخزار أحمد بن الحارث. ونجد كذلك المحدثين الذين حملوا أعظم أمانة في التاريخ الإسلامي؛ وهي نقل كلام الرسول صلى الله عليه وسلم صحيحاً -عن طريق التفرغ لجمعه وتمحيص صحيحه من موضوعه-، ومن أبرز هؤلاء: محمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج، والترمذي محمد بن عيسى السلمي، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه...⁹²

ثم جاء المؤرخون المتخصصون في نقل أخبار القوم وأحوالهم وتحليل أهم الأحداث الواقعة فيها، ومن ذلك مثلاً:

— ابن جرير الطبري: وكتابه: "تاريخ الرسل والملوك" أو "الأمم والملوك"، ومن حسناته أن مادته من أوثق المواد فيما يتعلق بالتاريخ الإسلامي لاعتماده على منهج السند.

— ابن مسكويه: ويعد كتابه: "تجارب الأمم وتعاقب الهمم" من أهم الكتب ذات الطابع الشمولي الموسوعي الذي تمد الطرف إلى تاريخ العالم كله.

— شمس الدين السخاوي: صاحب كتاب: "التوخيخ لمن ذم أهل التاريخ".

— ابن خلدون: صاحب كتاب: "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، والذي قال عنه جورج سارتون: "لم يكن فحسب أعظم مؤرخي العصور الوسطى، شامخاً كعملاق بين قبيلة أقزام، بل كان من أوائل فلاسفة التاريخ سابقاً: ميكافيلي، وبودان، وفيكو، وكونت، وكورنو، وبما أن ابن خلدون أسبقهم زماناً وأبعدهم مكانة، وكلهم عالية عليه، فإنه في الحق

⁹² ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص152.

الإمام لمدرسة فلسفة التاريخ، والفيصل بين مرحلتين حاسمتين في منهج البحث التاريخي، إنه بداية عصر جديد في الكتابة التاريخية، نستطيع أن نسميه بلا تحفظ عصر ابن خلدون⁹³.

ثالثاً: إسهامات المسلمين في علم الجغرافيا

أسهم المسلمون إسهاماً بارزاً في تطور علم الجغرافيا، إذ جمعوا بين المعرفة النظرية والملاحظة الميدانية الدقيقة، فكانوا من أوائل من رسم الخرائط ووصف البلدان والطرق التجارية والمناخات بدقة علمية. وقد ازدهر هذا العلم بفضل حاجات المسلمين إلى تحديد الاتجاهات والمواقيت ورحلات الحج والتجارة. وإن كان علم التاريخ أسبق من علم الجغرافيا؛ وذلك نتيجة انبثاقه من علم الحديث والآثار والأخبار، وصلته أيضاً باهتمام المسلمين الديني بالسيرة النبوية وتاريخ الخلفاء.

وقد كان أول بروز علمي للجغرافيين المسلمين في أواسط القرن الرابع الهجري حين ظهر الأصبهاني بكتابه: "مسالك الممالك" مزينا بالخرائط الملونة ومعتمدا على الأصول الجغرافية.

ولهذه الدقة العلمية اعتمد الأوروبيون الكتب العربية الجغرافية أساساً لدراسة الجغرافيا في أوروبا لعدة قرون، وخاصة كتاب الإدريسي المسمى بـ: "نزهة المشتاق في ذكر الأقطار والأقطار والجزر والمدائن والآفاق"، فهو مزود بأكثر من أربعين خريطة⁹⁴.

وإن من بين أهم من قام بهذه الجهود البديعة العظيمة من علماء المسلمين أيضاً:

1_المسعودي (ت 346هـ): علي بن الحسين بن علي، وهو من أشهر المؤرخين الجغرافيين المسلمين، وصاحب كتاب: "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، وقد تكلم فيه لأول مرة عن ظاهرة المد والجزر والبحار، ووصف فيه البحر الميت.

⁹³ ينظر، روائع تاريخ الطب والأطباء المسلمين، إسلام صبحي المازني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2006م، ص114.

⁹⁴ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص161.

2_ البشاري (ت 380هـ): محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين المقدسي البناء، وهو من كبار الرحالين الجغرافيين، ألّف كتابا قيما في الجغرافيا سماه: "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، وهو أشهر الموسوعات الجغرافية التي ظهرت في القرن الرابع الهجري.

3_ البيروني (ت 440هـ): يُعَدُّ أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني من أعظم العقول في تاريخ الإنسانية، وعالمًا موسوعيًا مسلمًا جمع بين علوم الفلك والرياضيات والجغرافيا، فكان مثالا للعالم الموسوعي في الحضارة الإسلامية. ومن كتبه في الجغرافيا: "الآثار الباقية من القرون الخالية"، "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أم مردولة".

ونجد كذلك ياقوت الحموي الذي قدم لنا موسوعة "معجم البلدان"، وقد ضمّنها أحاديث أسماء البلدان، والجبال، والقرى، وغيرها من المعلومات الجغرافية. وغيرهم كثير من الجغرافيين المسلمين، الذين لم يعتمدوا في جمع معلوماتهم على مجرد السماع والنقل فحسب، بل سلكوا للبحث طريق التجربة والمشاهدة، فساحوا في البلاد والبحار، ودوّنوا تجاربهم التي كانت أساسا لعلم الجغرافيا الحديث⁹⁵.

وخلاصة القول: أنّ للمسلمين فضلا كبيرا في علم الجغرافيا، وفي تزويد الغرب بقسط وفير من الدراسات التي لم تكن معروفة عنده في العصور الوسطى، ولهذا اهتمّ الغرب بكتب الجغرافيين المسلمين اهتماما كبيرا، واعتمدوا على المعلومات التي أوردها المسلمون في كتبهم عن الأمم والبلدان وصفاتها، ثم ترجموها للغاتهم المختلفة، مع عدم نسبتها إليهم في معظم الأحوال.

⁹⁵ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص 160-162.

الملحق 11: نماذج عن أول خرائط العلماء المسلمين قديما



أسئلة:

— كيف ساهم العلماء والفلاسفة المسلمون في إثراء الفكر الإنساني بالفلسفة الإسلامية؟

— ما دور العلماء المسلمين في تطوير علم التاريخ والجغرافيا ورسم الخرائط، وكيف أثّرت إنجازاتهم في النهضة الجغرافية لدى أوروبا؟

المحاضرة الحادية عشر: إسهامات المسلمين في العلوم التطبيقية (الرياضيات، الفلك)

قدّم المسلمون إسهامات عظيمة في العلوم التطبيقية، ولا سيما في الرياضيات والفلك، حيث جمعوا بين الملاحظة الدقيقة والعقل التحليلي والمنهج التجريبي. ففي الرياضيات، طوّر العلماء المسلمون نظام الأرقام، وأبدعوا في علم الجبر الذي أسّسه الخوارزمي، كما أسهموا في تطوير الهندسة وحساب المثلثات مما جعل علومهم أساساً للنهضة الأوروبية. وأمّا في علم الفلك، فقد أنشأ المسلمون المراصد الفلكية، وصحّحوا جداول الرصد وابتكروا آلات دقيقة كالإسطرلاب، وسعوا إلى تحديد أوقات العبادات والاتجاهات الجغرافية بدقة علمية. وهكذا أرسّت هذه الجهود أسس التفكير العلمي الحديث وأسهمت بعمق في تطور المعرفة الكونية.

أولاً: علم الرياضيات

قد بدأ اتصال الحضارة العربية الإسلامية بعلم الرياضيات بترجمة المأثور من معارف هذا العلم في الحضارات السابقة: كالحضارة اليونانية والبابلية والهندية والفارسية. وقد شملت حركة الترجمة معظم المصنفات الرئيسة المهمة في الرياضيات الإغريقية. ولكن المسلمين لم يكتفوا بما ورثوه من هذه العلوم التطبيقية ولم يكونوا عالة عليهم، بل نجحوا في تطوير هذا العلم، وكان لهم فضل السبق في اكتشاف علوم جديدة من علم الرياضيات⁹⁶.

أ/ علم الحساب:

أخذ العرب عن الهنود في الحساب نظام الترقيم؛ إذ كان لدى الهنود أشكال عديدة للأرقام، فهذبها العرب، وكوّنوا بها سلسلتين، عُرفت إحداهما بالأرقام الهندية، وهي المستعملة في الأقطار الإسلامية والعربية، وفيها استعملت النقطة لتدل على الصفر، وعُرفت الأخرى بالأرقام الغبارية، وفيها استعملت الدائرة (O) لتدلّ على الصفر، والأرقام الغبارية هذه انتشرت في المغرب والأندلس، ومنها دخلت إلى أوروبا، وأهم مآثر

⁹⁶ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص 179.

العرب التي استحدثوها في الحساب؛ هي طريقة الإحصاء العشري، واستعملهم الصفر لنفس الغاية التي نستعملها الآن، ومزايا هذا النظام أنه يقتصر على تسعة أعداد فقط وصفر، في حين كانت الأرقام اليونانية والغربية القديمة القائمة على حساب الجُمَّل تشتمل على عدد من الأرقام بقدر حروف الهجاء⁹⁷.

وإنّ من أبرز علماء الحساب الخوارزمي (ت 236هـ):

وهو محمد بن موسى الخوارزمي، أصله من خوارزم، وأقام في بغداد، حيث اشتهر وذاع صيته بين الناس، وهو أول من صنف كتاباً في علم الحساب، وكان الأول من نوعه من حيث الترتيب والتنظيم والتبويب والمادة. وهو كتاب: "المختصر في حساب الجبر والمقابلة". وقد تُرجم هذا الكتاب إلى اللغة اللاتينية على يد العالم روبرت من تشستر حوالي عام 1145م، ودخلت على إثر ذلك كلمات جديدة مثل الجبر Algebra والصفر Zero إلى اللغات اللاتينية. وترجمه بعد ذلك بقليل جيراردو الكريموني الساكن في طليطلة. ثم ترجمة ثالثة قام بها الإيطالي غيوم دي لونا. وقد استُعملت ترجمة روبرت من تشستر الكتاب الرئيسي في الرياضيات إلى حدود القرن السادس عشر في الجامعات الأوروبية⁹⁸.

ب/ علم الجبر:

يعد علم الجبر علماً إسلامياً نشأ، وإن تردد أنّ الأصول الأولى لهذا العلم قد عرفت في الحضارات السابقة كالمصرية والبابلية وغيرها. ولهذا يقول كاجوري في كتابه "تاريخ الرياضيات": "والعرب هم أول من أطلق لفظ الجبر على العلم المعروف الآن بهذا الاسم، وعندهم أخذ الإفرنج هذه اللفظة (Algebra)، وكذلك هم أول من ألف فيه بصورة علمية منظمة"⁹⁹.

⁹⁷ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص 181.

⁹⁸ المرجع نفسه، ص 181.

⁹⁹ المرجع نفسه، ص 184.

وإنّ كتاب الخوارزمي هو اللبنة الأولى في العلوم الحديثة، ولهذا يسمى الخوارزمي والد الجبر. فهو واضع علم الجبر، ومعلمه للناس¹⁰⁰.

الملحق 12: الخوارزمي مؤسس علم الجبر



ج/ علم الهندسة:

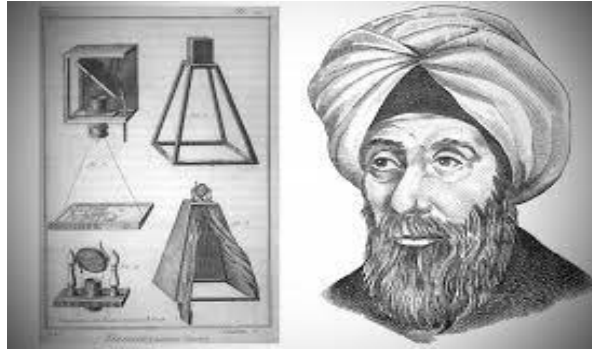
أدخل "علم الهندسة" إلى العرب عن طريق ترجمة الأعمال الإغريقية، وخاصة "أصول إقليدس"، وأعقبت فترة الترجمة والبدية في القرن التاسع الميلادي مرحلة إبداع (من القرن العاشر إلى القرن الخامس عشر الميلادي) جرى خلالها تدريجيًا شرح الأعمال المترجمة ومناقشتها وتصويبها؛ فعلى الرغم من أنّ أساتذة كبار أمثال (إقليدس، وأبولونيوس، وأرشميدس) نالوا احترامًا يبلغ حد التوقير والتبجيل، فإنّ العلماء العرب لم يتهيبوا نقد نتائجهم؛ بل تصويها في كثير من الحالات. ومن أشهر علماء الهندسة في التاريخ الإسلامي: ثابت بن قرة الحرائي البغدادي¹⁰¹.

¹⁰⁰ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص 184-185.

¹⁰¹ هو أبو الحسن ثابت بن قرة الحرائي (ت 826هـ)، أصله من حران، واستوطن في بغداد إلى حين وفاته، كانت له شهرة في علوم متعددة، كالفلك والطب والرياضيات والفلسفة. وهو أعظم علماء المسلمين في علم الهندسة. ينظر، روائع تاريخ الطب والأطباء المسلمين، إسلام صبحي المازني، ص 99.

وقد أقرَّ مؤرِّخو العلوم بريادة ثابت بن قرة في علم الهندسة، وأنه أعظم علماء المسلمين في هذا الفرع، وذكروا له عددًا من النظريات؛ بعضها من إبداعه، وبعضها تطوير وتحديد لآراء قديمة؛ مثل تطوير نظرية فيثاغورث (584 - 495 ق.م)، التي تقول: "إن مربع الوتر في المثلث قائم الزاوية، يساوي مجموع مربعي الضلعين القائمين". ومن أهم كتب ثابت بن قرة في الهندسة وبعض فروع الرياضيات الأخرى: كتاب "المدخل إلى أوكليدس"، "رسالتان في أعمال أرخميدس (أرشميدس) بالهندسة"، ومن أعماله أيضًا: "تعليق على كتاب الكرة والأسطوانة لأرخميدس"، و"المختصر في الهندسة"، وكتاب في مساحة الأشكال، وكتاب في قطوع الأسطوانة، وكتاب "في التفاضل والتكامل"، ورسالة في المربع وقطره...¹⁰²

الملحق 13: ثابت بن قرة وإسهاماته في علم الهندسة



د/ علم حساب المثلثات:

وهو العلم الذي ينظر في النسب القائمة بين أضلاع المثلث وزواياه، وقد عُرف في الحضارات القديمة المصرية واليونانية والهندية، بيدَ أنَّ الفضل في إبرازه وجعله علمًا مستقلًا عن غيره؛ يرجع إلى علماء المسلمين، بعد أن كان مرتبطًا بعلم الفلك ارتباطًا وثيقًا. وقد أطلق المسلمون على هذا العلم اسم "علم النسب"؛ نظرًا لأنه يبحث في النسب بين أضلاع المثلث.

¹⁰² ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص 182-183.

وليس يخفى ما لعلم حساب المثلثات من أثر في الاختراع والاكتشاف، وفي تسهيل كثير من البحوث الطبيعية والهندسية والصناعية¹⁰³.

ومن العلماء المسلمين الذين بذلوا جهدهم لتنظيم هذا العلم، وإرساء قواعده:

• أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان البتاني (ت 317هـ / 929م):

ومن جهوده في علم حساب المثلثات أنه اكتشف غالبية النسب المثلثية الأساسية على الصورة المستخدمة في الوقت الحاضر. وهو أول من استعمل المعادلات المثلثية. وأول من أدخل مصطلح (الجيب)، واستعمله بدلاً من كلمة (الوتر) التي كانت مستعملة عند اليونانيين. كما أنه ابتكر مفاهيم "جيب التمام"، و"الظل"، و"تمام الظل". وعمل الجداول الرياضية لما يُسمى "نظر المماس" (شكل الظل). وابتكر طريقة تنظيم جداول الجيوب والظلال إلى ثمانية منازل عشرية. وقد استخدم البتاني علم المثلثات استخدامًا واضحًا في جداوله الفلكية، التي وضعها على مستوى كبير من الإتقان.

وهو أول من سخر هذا العلم لخدمة الفلك، وسبق غيره في إعطاء "المثلثات الكروية" عناية تامة، وعمد إلى تطبيق القوانين، والعمليات الجبرية على المعادلات المثلثية¹⁰⁴.

• وأبو الوفا محمد بن محمد البوزجاني البغدادي (ت 388هـ / 998م):

الذي قضى جُلَّ وقته في دراسة مؤلفات أستاذه البتاني في علم حساب المثلثات، فعلق عليها، وفسر الغامض منها، وحذا حذوه في العمل على فصل هذا العلم عن علم الفلك، واعترف له المحققون في تاريخ العلوم ببراعته، وفضله على علم المثلثات؛ حتى اقترن اسمه عند علماء أوروبا بتقدم هذا العلم؛ فوصفه "كارل

¹⁰³ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص 186.

¹⁰⁴ المرجع نفسه، ص 186.

بوير" في كتابه: "تاريخ الرياضيات" بأنه "من المسؤولين الأوائل عن استقلال علم حساب المثلثات عن علم الفلك؛ حتى تمكّن من إدخال علم الجبر عليه بالطريقة النظرية، وهذا واضح في متطابقاته المثلثية"¹⁰⁵.

ومن خلال هذا الطرح يتضح بأنّ المسلمين قد اعتنوا بعلم الرياضيات عناية فائقة، فقد طوّروه وأضافوا عليه وابتكروا نظريات وعلوم أخرى تنحدر منه، فأسهّموا بذلك في خدمة العلوم التطبيقية وقدموا للعالم ككل إسهاما علميا جديدا في هذا المجال، وقد نقل الغرب كثيرا من آراء الخوارزمي والبتاني في هذا العلم إلى لغاته، وقد اعترف بذلك كثير من العلماء الغربيين، ونصّوا على أن الغرب مدينٌ للمسلمين في هذا الميدان.

ثانيا: علم الفلك

إنّ علم الفلك من العلوم القديمة التي ظهرت في مختلف الحضارات السابقة، وإنّ نشأة علم الفلك في الحضارة الإسلامية كان لبواعث علمية دينية، كمعرفة اتجاه القبلة وتحديد أوقات الصلاة ومعرفة النجوم للسفر... وغيرها من الأهداف.

ولهذا العلم عدة مصطلحات، من أهمها: علم النجوم، علم الهيئة، علم صناعة النجوم، وأحكام النجوم، وكلها يراد بها علم الفلك.

وقد ازدهر علم الفلك في العصر العباسي، حيث سعى الخليفة أبو جعفر المنصور إلى إحياء علم الفلك مستعينا في ذلك بمجموعة من علماء الهند، وجاء أحدهم مصطحبا كتاب السد هنتا، وعرف الكتاب بعد ترجمته إلى العربية بالسند هند¹⁰⁶.

¹⁰⁵ المرجع السابق، ص 187.

¹⁰⁶ كتاب ألفه أحد علماء الهند، يستند إلى الأساليب الفلكية الهندية. يشمل جداول لحركات الشمس والقمر والكواكب الخمسة التي كانت معروفة في ذلك الزمان. يتألف من فصول للحسابات والجداول الفلكية والتقويمية. ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص 190.

ويعد كتاب المجسطي لبطليموس من أهم الكتب التي اعتمد عليها العرب وأفادوا منها في علم الفلك، ويعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب التي أنجبتها الحضارة الإغريقية في هذا الميدان. وقد ترجم كتاب المجسطي إلى العربية عدة مرات، كما ترجمت كتب أخرى كثيرة في علم الفلك¹⁰⁷.

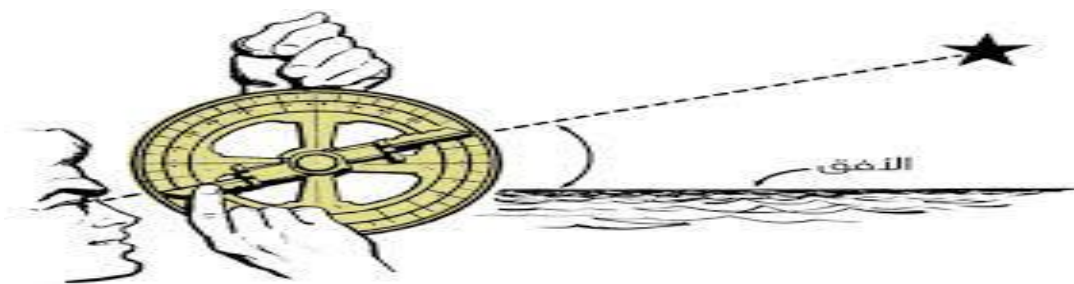
وقد استفاد المسلمون من تراث السابقين وأضافوا عليه الكثير -نظريا وتطبيقيا-:

- فمن الناحية النظرية: تأليف الأزياج: ومفردتها زيح: وهي صناعة حسابية تعتمد على قوانين عديدة فيما يخص كل كوكب من طريق حركته، ومنه تحسب سير الكواكب واستقامته... وتسجل في كتاب، ومنه يستخرج التقويم.

- من الناحية التطبيقية: صنع الإسطرلاب¹⁰⁸ وتطويره: لعلم قياس ارتفاع النجوم فوق الأفق. وقد صنع إبراهيم الفزاري أول مرصد عربي لرصد الأجرام السماوية.

وبدأ المسلمون في إنشاء المراصد سنة 215هـ تقريبا، عندما أمر الخليفة المأمون العباسي بإنشاء عدد من المراصد، ومنها إنشاء مرصد كبير في دمشق على جبل قاسيون¹⁰⁹.

الملحق 14: آلة الإسطرلاب



¹⁰⁷ المرجع السابق، ص192.

¹⁰⁸ هو مشتق من "أسطر لا بون"، "أسطر": نجم، "لا بون": كلمة يونانية، وهو الآلة الشريفة لقياس ارتفاع النجوم فوق الأفق، وتستخدم في الملاحة الأرضية، كما يستعمل في معرفة أوقات الصلاة. ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص198.

¹⁰⁹ المرجع نفسه، ص195-196.

ـ أشهر أعلام الفلك:

نبغ في علم الفلك عدد كبير من علماء المسلمين، قاموا فيه بإنجازات عظيمة، نذكر منهم:

1ـ ابن الهيثم (ت 430هـ):

يُعدّ الحسن بن الحسن بن الهيثم من أبرز العلماء المسلمين في مجال الفلك والبصريات، ومن المؤسسين الحقيقيين للمنهج التجريبي في العلوم. قدّم إسهاماتٍ رائدة في علم المناظر، مميّزًا بين علم التنجيم وعلم الفلك القائم على الملاحظة الدقيقة. كما قدّم وصفًا تفصيليًا للمجالات السماوية، ويُعدّ بحق "أبا البصريات الحديثة".

وقد صحّح ابن الهيثم كثيرًا من المفاهيم الخاطئة التي كانت سائدة في عصره، والتي استندت إلى نظريات أرسطو وبطليموس وإقليدس؛ فأثبت أن الضوء ينتقل من الأجسام إلى العين لا العكس، وهو ما مهّد لمبادئ اختراع الكاميرا. وكان أول من شرح العين تشريحًا دقيقًا، وبيّن وظائف أجزائها، كما درس الجوانب النفسية المؤثرة في عملية الإبصار. وقد تضمّن كتابه "المناظر" معادلةً من الدرجة الرابعة تتعلق بانعكاس الضوء على المرايا الكروية، ما زالت تُعرف حتى اليوم باسم "مسألة ابن الهيثم"¹¹⁰.

2ـ البيروني (ت 440هـ)¹¹¹:

هو أول من قال بدوران الأرض، وقد برهن بالأدلة على دوران الأرض حول محورها، وقد عُرف بدقّته في البحث والملاحظة واعتماده على المنهج التجريبي والقياس العلمي، ونجح في قياس نصف قطرها بدرجة مذهشة من الدقة، كما أجرى أبحاثًا مبكرة في ظاهرة الجاذبية قبل نيوتن بقرون. وبهذا مثّل البيروني نموذجًا

¹¹⁰ ينظر، روائع تاريخ الطب والأطباء المسلمين، إسلام صبحي المازني، ص 100-101.

¹¹¹ سبق ذكره والتعريف به في المحاضرة العاشرة، ص 81.

فريدًا للعالم المسلم الذي جمع بين المنهج العلمي والروح النقدية، وأسهم إسهامًا بارزًا في تأسيس المعارف الحديثة وبناء الجسر العلمي بين الشرق والغرب.

وقد قدّم العلماء المسلمون في هذا المجال دراسات قيمة مهّدت الطريق للنهضة الفلكية الكبرى في الغرب، فاستفاد الغرب من كتبهم وترجمها بلغاته وطوّر معظم دراساتهم في هذا العلم ونسبها إليه¹¹².

سؤال:

اكتب مقالًا مختصرًا حول أبرز الإسهامات التي قدّمها علماء المسلمين في تطوير علم الرياضيات أو علم الفلك مستشهدًا بنماذج من التاريخ الإسلامي المجيد.

الملحق 15: إسهامات المسلمين في علم الفلك والرياضيات



¹¹² ينظر، روائع تاريخ الطب والأطباء المسلمين، إسلام صبحي المازني، ص 110.

المحاضرة الثانية عشرة: إسهامات المسلمين في العلوم التطبيقية (الطب والصيدلة والكيمياء)

أسهم المسلمون إسهاماً رائداً في العلوم التطبيقية، وخاصة في الطب والصيدلة والكيمياء، حيث جمعوا بين الخبرة العملية والدراسة النظرية، وجعلوا من العلم وسيلة لخدمة الإنسان. ففي الطب، وضع الأطباء المسلمون أسس الممارسة الطبية العلمية، وأنشأوا المستشفيات والمدارس الطبية، وخلفوا مؤلفات رائدة مثل: "القانون في الطب" لابن سينا و"الحاوي" للرازي. وأما في الصيدلة، فقد ميّزوا بين العقاقير النباتية والمعدنية والحيوانية، وألفوا كتباً متخصصة ككتاب: "الأدوية المفردة" لابن البيطار. وفي الكيمياء، طوّر العلماء المسلمون المنهج التجريبي وأسسوا علم الكيمياء الحديث كما في أعمال جابر بن حيان. وهكذا كانت إسهاماتهم أساساً لتقدم العلوم الحديثة في الغرب والشرق على حد سواء.

أولاً: الطب

اعتنى المسلمون بالطب بعناية فائقة، فترجموا إلى اللغة العربية أهم الكتب الطبية اليونانية، ككتب جالينوس وأبقراط وغيرهما، ولكنّ المسلمين لم يقتنعوا بكل ما وجدوه في تلك الكتب من معلومات وتجارب؛ مما حملهم على التأكد منها وتعديلها وتصحيحها، بالإضافة عليها، فكتبوا بذلك في أبواب جديدة من الطب والصيدلة لم يسبقهم إليها أي إنسان من قبل، واعتمدوا في ذلك كله على مشاهداتهم الشخصية وتجاربهم الخاصة، وقد ساهم العلماء المسلمون إسهاماً بارزاً في تطوير الطب من خلال تأسيس المستشفيات التعليمية، ووضع المناهج الطبية المنظّمة، وابتكار أدوات وأدوية جديدة. وقد اعتمد الطب الإسلامي على الملاحظة والتجربة بدل الاقتصار على النظريات، فمهّد بذلك لقيام الطب الحديث وأسس لنهضة علمية عالمية¹¹³.

وكان من أشهر الأطباء المسلمين:

¹¹³ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص 207-217.

1_ أبو بكر الرازي (ت 311هـ):

يُعدّ الرازي من أبرز أطباء الحضارة الإسلامية وأكثرهم تأثيراً في تاريخ الطب العالمي، وتميّز بمنهجه القائم على الملاحظة والتجربة، ومن أشهر القصص الدالة على ذكائه وتجربتيته أنّ أحد الخلفاء كلّفه باختيار موقع لبناء مستشفى في بغداد، فوضع قطعاً من اللحم في أماكن مختلفة من المدينة، وبعد مدة لاحظ أيّها تأخر فساد، فاختار الموضع الذي تأخر فيه فساد اللحم، لاعتقاده بأن هواءه أنقى وأنسب لشفاء المرضى، وهو تصرّف يعبر عن فهمه المبكر لأهمية البيئة الصحية في العلاج¹¹⁴.

ويُعدّ كتابه: "الحاوي في الطب" من أعظم موسوعات الطب قديماً، إذ جمع فيه خلاصات الطب الإغريقي والهندي إلى جانب ملاحظاته وتجاربه الخاصة، وقد اعتُبر مرجعاً أساساً في الجامعات الأوروبية بعد ترجمته إلى اللاتينية، وطُبع لأول مرة في بريشيا بإيطاليا عام 1486م، ثم أُعيد طبعه مراراً في البندقية خلال القرن السادس عشر. ما يعكس عمق تأثيره في النهضة الطبية الغربية وريادته في الطب التجريبي¹¹⁵.

2_ الزهراوي:

أبو القاسم الزهراوي (توفي نحو 404هـ)، يُعدّ من أعظم الأطباء والجراحين في الحضارة الإسلامية، وقد اشتهر بكتابه الموسوعي: "التصريف لمن عجز عن التأليف"، الذي يُعتبر من أقدم المراجع الشاملة في علم الجراحة ويمثّل خلاصة تجربته الطبية على مدى خمسين عاماً. ضمّ هذا الكتاب ثلاثين مقالة تناولت مختلف فروع الطب والصيدلة، ووصف فيها نحو 325 مرضاً وأعراضها وطرائق علاجها، فكان مرجعاً أساسياً في الجامعات الأوروبية لقرون طويلة.

وقد تميّز الزهراوي بإبداعه في العمليات الجراحية ووصفه الدقيق للأدوات الطبية، فكان أول من ابتكر عملية القسطرة وصنع أدواتها، وأول من أجرى شقّ القصبّة الهوائية بنجاح. كما كان رائداً في خياطة الجروح الداخلية باستخدام خيوط مصنوعة من أمعاء الحيوانات، وابتكر طريقة التخييط بإبرتين بخيط واحد.

¹¹⁴ عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، ت: نزار رضا، بيروت: دار مكتبة الحياة، 1965م، ج1، ص414.

¹¹⁵ ينظر، روائع تاريخ الطب والأطباء المسلمين، إسلام صبحي المازني، ص130.

واستعمل القطن لإيقاف النزيف، وابتكر اللاصق الطبي الذي يُعدّ أصل الضمادات الحديثة، كما استخدم الفحم لتنقية الأدوية السائلة.

وفي مجال طب الأسنان وجراحة الفكّين، أفرد فصولاً خاصة شرح فيها طرق قلع الأسنان بلطف، ومعالجة كسور الفكّين، وتنظيف الفم والأسنان، وعلاج التشوهات الخلقية في سقف الحلق. كما تناول أمراضاً مثل التهاب المفاصل والسلّ الفقري قبل الطبيب الأوروبي برسيغال بوت بسبعمئة عام، وأشار إلى أهمية دور المرأة في التمريض¹¹⁶.

لقد مثّل الزهراوي بحقّ رائد الجراحة الحديثة، وأسهمت إنجازاته في وضع الأسس العلمية الدقيقة التي بُني عليها الطب الجراحي في العالم.

الملحق 16: أدوات جراحية من صنع الأطباء المسلمين



¹¹⁶ ينظر، روائع تاريخ الطب والأطباء المسلمين، إسلام صبحي المازني، ص 125.

3_ ابن سينا (ت 428هـ):

يُعدّ ابن سينا من أعظم علماء الطب في التاريخ، وقد عُرف بزهده في المال، إذ كان يعالج المرضى تطوّعاً ومحبة للخير، وقد ذاع صيته منذ صغره حين نجح في علاج الأمير نوح بن منصور وهو لم يتجاوز السابعة عشرة، ما منحه مكانة علمية مكّنته من الاطلاع على كنوز العلم في مكتبات القصور السامانية.

وقد تميّز ابن سينا بمنهجه العلمي التجريبي، فكان رائداً في كثير من الاكتشافات التي سبقت عصره بقرون. اكتشف طفيلة الأنكلستوما ووصفها تفصيلاً في كتابه "القانون في الطب"، كما فرّق بين الشلل الدماغي والشلل العضوي، وكان أول من وصف الالتهاب السحائي، وميّز بين المغص الكلوي والمعوي، وأشار إلى طرق العدوى بالأمراض المعدية كالجدري والحصبة عبر كائنات دقيقة في الماء والهواء، أي قبل اكتشاف المجهر بقرون.

وفي مجال الجراحة، أبدع في علاج القناة الدمعية باستخدام مسبار معقّم، وتحدث عن إيقاف النزيف بوسائل متعددة كالربط والكي والضغط، كما نبّه إلى ضرورة معرفة التشريح قبل العمليات، وأشار إلى أن تحديد جنس الجنين يعود إلى الرجل، وهو ما أكّده الطب الحديث.

وقد ترك ابن سينا تراثاً ضخماً تجاوز مئتي مؤلّف، من أهمها:

"القانون في الطب" - وهو مرجع عالمي دُرّس في جامعات أوروبا حتى القرن التاسع عشر-، "الأدوية القلبية"، "دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية"، "تشریح الأعضاء"، "رسالة في الفصد والأغذية".

كما نظم أراجيز طبية عديدة، منها: أرجوزة في التشريح، أرجوزة المجربات في الطب، الألفية الطبية المشهورة التي ترجمت وطبعت¹¹⁷.

¹¹⁷ ينظر، روائع تاريخ الطب والأطباء المسلمين، إسلام صبحي المازني، ص 147.

ولقد مثّل ابن سينا ذروة ازدهار الطب الإسلامي والعقل العلمي التجريبي، وظلّت مؤلفاته تُدرّس في جامعات فرنسا وإيطاليا لأكثر من ستة قرون، وفي هذا شهادة على عبقرية العالم المسلم الذي سبق الحضارة الحديثة في كثير من اكتشافاتها.

4_ ابن النفيس (ت 687هـ):

يُعَدّ علاء الدين ابن النفيس من أبرز علماء الطب في الحضارة الإسلامية، وأحد أعظم الأطباء في التاريخ الإنساني، فقد قدّم اكتشافات رائدة غيّرت مجرى علم التشريح ووظائف الأعضاء. اشتهر بكتابه "شرح تشريح قانون ابن سينا"، الذي ضمّ العديد من الاكتشافات التشريحية الجديدة، وكان من أهمها اكتشافه للدورة الدموية الصغرى (الرئوية)، وشرحه الدقيق لوظيفة الشريان التاجي، مما جعله يصوّب كثيرًا من آراء ابن سينا وجالينوس. ويُعدّ هذا الكتاب من أدقّ المراجع العلمية في علم التشريح والفيزيولوجيا في العصور الوسطى.

وألّف ابن النفيس بعد ذلك موسوعته الضخمة "الشامل في الصناعة الطبية"، التي اعتُبرت أضخم موسوعة طبية كتبها إنسان في التاريخ، إذ خطّط لها في 300 مجلد، أنجز منها نحو 80 مجلدًا قبل وفاته، وجعلها المؤرخون امتدادًا وتطويرًا لقانون ابن سينا حتى لقبوه بـ "ابن سينا الثاني". كما ألّف كتابه: "شرح الأدوية المركّبة"، وقد تُرجم إلى اللاتينية عام 1520م وطُبع في البندقية سنة 1547م، واستفاد منه ويليام هارفي لاحقًا في تفسيره للدورة الدموية الكبرى.

وقد تميّز ابن النفيس بجرأته العلمية واستقلاله في الرأي، ففند كثيرًا من آراء القدماء بالاعتماد على الملاحظة الدقيقة والتشريح التجريبي. وبعد قرون من وفاته، عُثر على مخطوط كتابه "شرح تشريح القانون" في مكتبة برلين سنة 1924م على يد الباحث محيي الدين التطاوي، الذي أثبت ريادته في اكتشاف الدورة الدموية قبل الغرب بثلاثة قرون.

ومن أهم كتبه أيضاً: "شرح فصول أبقرات"، "المهذب في الكحل المجرب" في طب العيون، "الموجز في الطب"، وهو تلخيص متميز لقانون ابن سينا، "المختار في الأغذية"، "تفسير العلل وأسباب الأمراض"، "شرح كتاب الأوبئة لأبقراط" ...¹¹⁸

وإن اكتشاف ابن النفيس للدورة الدموية الصغرى يُعدّ من أعظم إنجازات الطب الإسلامي، وشاهداً على تفوّق العلماء المسلمين في المنهج التجريبي والعقل التحليلي الذي مهّد لنهضة الطب الحديث.

ثانياً: الصيدلة

وهي من أهم العلوم الطبية التي نشأت لخدمة الإنسان وحمايته من الأمراض، إذ تهمّ بدراسة خصائص الأدوية وتركيبها ومصادرها وطرق تحضيرها واستعمالها من أجل الوقاية والعلاج. وقد بلغت الصيدلة في الحضارة الإسلامية شأنًا عظيمًا، إذ وضع العلماء المسلمون أسسها العلمية الدقيقة، فكانوا أول من أنشأ دكاكين للعقاقير (الصيدليات)، وألفوا الكتب المتخصصة في العقاقير النباتية والمعدنية والحيوانية.

فألف صيادلة المسلمين الكثير من الكتب في خواص الأدوية وتركيبها وتصنيفها ومفعولها وخصائصها، واخترعوا الأدوية والأشربة والخلاصات التي كان يصفها الأطباء المسلمون للمرضى. ومن أبرز أعلام هذا الميدان جابر بن حيان، والرازي، وابن سينا، والبيروني، وابن البيطار، الذين أسهموا في تطوير علم الصيدلة تجريبياً ومنهجياً، مما جعل مؤلفاتهم تُترجم إلى اللاتينية وتُدرّس في جامعات أوروبا قرونًا طويلة، فمهدوا بذلك الطريق أمام النهضة الصيدلانية الحديثة في الغرب. وسنذكر بعضهم على النحو الآتي:

1_ ابن البيطار (ت 646هـ):

ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد الملقب بالنباتيّ والعشّاب، يُعدّ من أعظم علماء الصيدلة والنبات في الحضارة الإسلامية، وقد تميّز باعتماده على المنهج التجريبي والملاحظة الدقيقة في دراسة النباتات

¹¹⁸ ينظر، روائع تاريخ الطب والأطباء المسلمين، إسلام صبحي المازني، ص 153.

وخواصها العلاجية. كان أول من طبّق العلاج الضوئي الكيميائي باستخدام بذور الخلة في علاج البهاق، حيث يخلطها بعسل النحل ويعرض المريض للشمس، ملاحظاً بدقة تأثير العلاج على الجلد المصاب.

اعتمد ابن البيطار في أبحاثه على التجربة والتحقيق العلمي، فكان يدرس النباتات تشريحاً وتصنيفاً وتجريباً، ويسجل أسماء الأدوية بدقة بالشكل والنقط. كما حدّد منافع الأدوية ومقاديرها، وحدّر من الإفراط في استخدامها، وابتكر بدائل علاجية عند عدم توفر الأصلية. واستفاد في تجاربه من النباتات والحيوانات والمعادن، مستخلصاً منها عقاقير فعّالة.

وأسهّم ابن البيطار كذلك في تثبيت المصطلح الطبي العربي وإغناء معجمه، مما جعله مرجعاً أساساً لعلماء أوروبا في العصور الوسطى.

ومن أشهر مؤلفاته: كتاب "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية": وهو موسوعة صيدلانية ضخمة تضم وصفاً دقيقاً لأكثر من 1400 دواء نباتي وحيواني ومعدني، منها 300 من اكتشافه الشخصي، مرتبة أبجدياً. جمع فيه بين الدواء والغذاء، وانتقد بدقة آراء العلماء السابقين كالرازي وابن سينا، مضيفاً نباتات جديدة إلى المادة الطبية العربية.

كتاب "المغني في الأدوية المفردة": رتب فيه الأدوية حسب أعضاء الجسد.

"الإبانة والإعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام": نقد علمي لكتاب ابن جزلة.

"تفسير كتاب ديسقوريدوس"، رسالة في "تداوي السموم"، "ميزان الطبيب".

وقد تُرجم كتاب الجامع إلى اللاتينية والألمانية والفرنسية، وطُبع في بولاق سنة 1874م، فكان من أهم المراجع النباتية والصيدلانية في الشرق والغرب، وقد مثّل ابن البيطار ذروة التطور العلمي في علم العقاقير العربي الإسلامي¹¹⁹.

¹¹⁹ ينظر، روائع تاريخ الطب والأطباء المسلمين، إسلام صبحي المازني، ص 163.



ثالثاً: علم الكيمياء

علم الكيمياء أحد العلوم الطبيعية التي وضع المسلمون أسسها المعرفية، وأرسوا قواعدها التجريبية الدقيقة، فكانوا أول من ميّز بين الأحماض والقلويات، وشرحوا التفاعلات الكيميائية، ودرسوا تأثير المواد المختلفة، مما جعل هذا العلم ينتقل إلى أوروبا باسم الكيمياء (Chemistry/Alchemy)، مستفيداً من مناهج المسلمين وتجاربهم.

ويُعدّ جابر بن حيان الأزدي (ت 199هـ) الرائد الأول في هذا المجال، إذ يُجمع المؤرخون على أنه أول من وضع الكيمياء على أسس علمية صحيحة، فجعل التجربة والملاحظة عماد البحث، وأدخل إلى هذا العلم دقة المنهج والاصطلاح. ترك جابر ثروة علمية ضخمة من المؤلفات، من أبرزها: "الزئبق الشرقي"، "تركيب الكيمياء"، كتاب "السموم ودفع مضارها"¹²⁰.

وقد اعتمدت جامعات أوروبا في بدايات نهضتها على كتب جابر بن حيان، وعدّها المراجع الأساسية في علم الكيمياء، إذ تُرجمت إلى اللغة اللاتينية منذ وقت مبكر، وانتقلت منها إلى لغات أوروبا الحديثة. ومن

¹²⁰ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص 244.

خلال هذه الترجمات دخلت إلى المصطلحات الأوروبية كلمات عربية الأصل ما تزال مستخدمة حتى اليوم، مثل: الكحول (Alcohol)، الإكسير (Elixir)، القلوي (Alkali)، النترون (Nitre)، الزرنيخ (Arsenic)، والبورق (Borax)، مما يُبرز أثر العلماء المسلمين العميق في تطور الكيمياء العالمية وفي بناء النهضة العلمية الأوروبية¹²¹.

ويُتضح مما سبق أنّ النهضة العلمية الأوروبية لم تنشأ في فراغ، بل قامت جزئيًا على تراث علمي شامل صاغته الحضارة الإسلامية عبر قرون. خاصة وأنّ أثر العلماء المسلمين لم يقتصر على نقل معارف الإغريق والروم والهند فحسب، بل امتد إلى تطوير مناهج البحث والتجريب وصياغة اصطلاحات علمية جديدة وإضافة اكتشافات عملية ونظرية في ميادين متعددة: الرياضيات (الجبر والخوارزميات)، الفلك (جداول فلكية وآلات رصدية دقيقة)، الطب والجراحة (موسوعات تشخيصية وجراحية، وأنظمة علاجية سريرية منظمة)، الصيدلة والعقاقير (موسوعات وجرعات ومقاييس)، الكيمياء/الصناعة (تقنيات التقطير والتنقية وتصنيف المواد)، والبصريات والفيزياء (تجارب رائدة عن طبيعة الضوء والانكسار).

وإنّ أهم ما ميّز إسهامات العلماء المسلمين ليس الكمّ فحسب، بل نوعية المنهج: وذلك في اعتمادهم على الملاحظة المنهجية والتجريب، وميلهم إلى التحقق والنقد. وانعكاس هذا المنهج ظلّ واضحًا في أعمال ابن الهيثم في البصريات (المنهج التجريبي والنمذجة)، وفي مؤلفات جابر بن حيان في الكيمياء العملية، وفي منهج الرازي وابن سينا في الطب القائم على الملاحظة والقياس، وأيضًا في كتابة الزهراوي الدقيقة لأدوات الجراحة وتقنياتها. وإنّ هذه النزعات المنهجية ساهمت في تحضير الأرض الفكرية لأوروبا لاستيعاب النهضة العلمية لاحقًا.

ومن جهة أخرى، كان لترجمة وتأليف موسوعات شاملة أثرٌ عملي على مؤسسات التعليم الغربي: فكتب مثل القانون لابن سينا والحاوي للرازي والجامع لمفردات الأدوية لابن البيطار أصبحت مراجع في كليات الطب لقرون. ولهذا يمكن القول أنّ إشعاع الحضارة الإسلامية تجلّى على العالم بأكمله، وأنّ نور الشمس سطعت على الغرب من الشرق.

¹²¹ ينظر، الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، عبد الحليم عويس، ص 245-247.

أسئلة:

- اكتب مقالا عن أبرز المجالات العلمية التي برع فيها العلماء المسلمون وساهموا من خلالها في تقدم الحضارة الإنسانية.
- ما أهم مؤلفات العلماء المسلمين وإنجازاتهم في مجالات العلوم التطبيقية؟
- اذكر أبرز العلماء -على مر التاريخ الإسلامي- الذين ساهموا في تطور العلوم النظرية والتطبيقية في الحضارة الإسلامية؟
- ما العوامل التي ساعدت على ازدهار العلوم في الحضارة الإسلامية، وما الأسباب التي أدت إلى تراجعها لاحقاً؟

خاتمة:

في نهاية هذه المطبوعة أذكر طلبتنا الأعزاء على أنّ الحضارة الإسلامية من أبرز الحضارات التي تركت بصمات خالدة في مسيرة الإنسانية، إذ جمعت بين القيم الروحية والمكتسبات المادية في توازنٍ فريدٍ لم تعرفه حضارة أخرى. فقد قامت على أسس من العقيدة والتوحيد والعلم والعمل، وأسهمت في بناء الإنسان الصالح والمجتمع المتكامل. وقد اتضح للطلبة -من خلال هذه المطبوعة- ملامح الإبداع الإسلامي في مختلف المجالات الفكرية والعلمية، كما تبين أن الحضارة ليست إرثاً جامداً، بل مشروعاً مستمراً يتطلب وعياً وتفاعلاً وتحديداً في ضوء قيم الإسلام ومقاصده العليا. وعليه فلا بدّ من العناية بدراسة التراث الحضاري الإسلامي دراسةً وافيةً تكشف عن عناصر الإبداع والإسهام فيه، مع السعي إلى تعميق الوعي بالقيم الحضارية التي أسسها الإسلام وربطها بواقع الأمة المعاصر لإحياء روح العمل والبناء. والاستفادة من التجارب الحضارية للأمم الأخرى بما لا يتعارض مع المبادئ الإسلامية، مع الحرص على تعزيز القيم الأخلاقية والعلمية في كافة المؤسسات التعليمية بوصفها الأساس المتين لتجسيد الحضارة وتحقيق العمران.

فهرس الملاحق:

- الملحق 1: الحضارة الإسلامية بين الثقافة والعمران ص7
- الملحق 2: الأثر المعماري بوصفه علامة على اكتمال الدورة الحضارية ص26
- الملحق 3: المؤسسات القضائية في المجتمع الإسلامي: مشهد للقضاء ص48
- الملحق 4: المؤسسات الرقابية في المجتمع الإسلامي: مشهد للحسبة والشرطة ص48
- الملحق 5: راية الجيش الإسلامي ص55
- الملحق 6: سك النقود بشعارات إسلامية ص57
- الملحق 7: نماذج من إسهامات العالقات المسلمات في الحضارة ص64
- الملحق 8: الحركة العلمية في الحضارة الإسلامية ص72
- الملحق 9: نموذج عن فن التذهيب ص78
- الملحق 10: نماذج عن الفن الإسلامي وزخارفه ص79
- الملحق 11: نماذج عن أول خرائط العلماء المسلمين قديما ص87
- الملحق 12: الخوارزمي مؤسس علم الجبر ص90

الملحق 13: ثابت بن قرة وإسهاماته في علم الهندسة ص91

الملحق 14: آلة الإسطرلاب ص94

الملحق 15: إسهامات المسلمين في علم الفلك والرياضيات ص96

الملحق 16: أدوات جراحية من صنع الأطباء المسلمين ص99

الملحق 17: إسهامات العلماء المسلمين في علم الصيدلة والكيمياء ص104

فهرس المحتويات:

الصفحة	العنوان
2	مقدمة
4	معلومات حول مقياس مدخل إلى الحضارة
6	المحاضرة الأولى: مفهوم الحضارة الإسلامية وأسسها
15	المحاضرة الثانية: خصائص الحضارة الإسلامية ومصادرها
22	المحاضرة الثالثة: عوامل قيام الحضارة واختيارها
35	المحاضرة الرابعة: النظام السياسي (الخلافة، الحجابة، الوزارة، الولاية)
43	المحاضرة الخامسة: النظام الإداري والقضائي
49	المحاضرة السادسة: النظام المالي والعسكري
56	المحاضرة السابعة: مظاهر الحضارة الإسلامية (الحياة الاقتصادية والاجتماعية)
67	المحاضرة الثامنة: مظاهر الحضارة الإسلامية (الحياة العلمية)
73	المحاضرة التاسعة: إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية (الأدب والفنون)
80	المحاضرة العاشرة: إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية (الفلسفة والتاريخ والجغرافيا)

88	المحاضرة الحادية عشر: إسهامات المسلمين في العلوم التطبيقية (الرياضيات، الفلك)
97	المحاضرة الثانية عشر: إسهامات المسلمين في العلوم التطبيقية (الطب والصيدلة والكيمياء)
107	خاتمة
108	فهرس الملاحق:
110	فهرس المحتويات